المكي والمدني في القرآن دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة

الدكتور
محمد حسن محمد حسن أبوالنجا
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

ملخص البحث

في هذا البحث والذي هو بعنوان : "المكي والمدني في القرآن دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة": أنشيء دراسة تأصيلية للمكي والمدني في القرآن الكريم بتعريف كل منهما ، وذكر فوائد دراسته ، والطرق التي يعرف بها المكي والمدني ، وذكر الروايات التي عددت المكي والمدني ، وضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما ، والآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية ، ثم أجيب عن سؤال مهم وهو : هل تكرر نزول شيء من القرآن؟

ثم يأتي الغرض الأصلي من هذا البحث وهو دراسة مكان وزمان نزول كل سورة ، لنتمكن بعد ذلك من وصفها بأنها مكية أو مدنية ، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات ، لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟

والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الباحث

د : محمد حسن محمد حسن أبوالنجا

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

Research Summary

In this research, which is entitled: "Makki and Madani in the Koran a thorough study and critical study of the descent of the wall and the verses excluded from each of the first Surat Al-Fatihah until the last Surat Al-Maida": Which is known as Makki and Madani, and mentioned the narrations that enumerated Makki and Madani, and the controls of the Makkah Koran and the controls of the Koran and their characteristics, and verses excluded from the fence Makki and verses excluded from the civil wall, and then answer the important question is: Is repeating something from the Koran?

Then comes the original purpose of this research is to study the place and time of the descent of each surah, so we can then describe it as Makiya or civil, and if there are verses excluded from the Sura I study each of these verses, to be able to judge this verse: Fractions Makiya or civil or not?

God is the conciliator and the Mahdi to the path researcher

D: Mohamed Hassan Mohamed Hassan Aboulnja
Lecturer of Interpretation and Sciences of the Koran at the Faculty of Islamic Studies and Arabic for boys in Disoq

المقدمة

الحمـد لله رب العـالمين ، والعاقبـة للمتقـين ، ولا عـدوان إلا عـلى الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، رب العـالمين ، وإله المرسلين ، وقيوم السموات والأرضين . وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسوله ، المبعوثُ بالكتاب المبين ، الفارقُ بين الهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والشك واليقين .

أنزله لنقرأه تدبراً ، ونتأمله تبصراً ، ونسعد به تذكراً ، ونحمله عـلى أحسن وجوهه ومعانيه ، ونصدق به ، ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه.

فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته ، وطريقه الموصـل لسـالكه إلى مرضاته ، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ، ورحمته المهـداة التـي بها صـلاح جميـع المخلوقـات ، والسـبب الواصـل بينـه وبـين عبـاده إذا انقطعت الأسباب ، وبابـه الأعظـم الـذي منـه الـدخول فـلا يغلـق إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء ، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء ، والنُزُل الكـريم الـذي لا يشـبع منـه العلماء ، لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته .

كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً زادها هداية وتبصيراً ، وكلما فُتِحَت مَعِيْنُه فُجِّر لها ينابيع الحكمة تفجيراً ، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها[1]، وحياة القلوب ، ولذة النفوس ،

---

(١) الجَوَى : طول المرض . انظر كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ٦/ ١٩٦ ، ط دار ومكتبة الهلال .

وشفاء الصدور ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، والمنادي بالمساء والصباح : يا أهل الفلاح ، حي على الفلاح .

نادى منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم : ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١)﴾ .

أَسْمَع ـ والله ـ لو صادف آذاناً واعية ، وبَصَّر ـ لو صادف قلوباً من الفساد خالية .

وبعد.....، فمن الجدير بالإنسان أن ينفق ساعات عمره ـ بل أنفاسه ـ فيما ينال به المطالب العالية ، ويَخْلُص به من الخسران المبين ، وليس ذلك إلا بالإقبالِ على القرآن وتفهمه وتدبره ، واستخراجِ كنوزه وإثارةِ مكنوناته ، وصرفِ العناية إليه ، والعكوفِ بالهمة عليه ؛ فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد ، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد ، فالحقيقة والطريقة والأذواق والمواجيد الصحيحة كلها لا تُقْتَبَس إلا من مشكاته ، ولا تُسْتَثْمَر إلا من شجراته .

وقد اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يصطفي لهذه المهمة الخطيرة أكرم خلقه محمداً ـ ﷺ ـ ، الذي كان القرآن الكريم لسان حاله ومقاله ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وربى الأئمة ، آتاهم الله حُكْماً وعلماً ؛ لِمَا انطوت عليه من الإخلاص سرائرهم ، ولَمَّا استجابوا لله ـ

---

(١) سورة الأحقاف (٣١) .

تعالى ـ وللرسول ـ ﷺ ـ لما فيه حياتهم ، فكانوا بحق منارات يَهْتَدِي بها من قصد الهداية ، وابتغى الرشاد .

وكانت مدة تلك الرسالة الخاتمة على فترتين :

الفترة الأولى : ـ في مكة ، نزلت فيها سور وآيات من القرآن الكريم على النبي ـ ﷺ ـ بما يتناسب مع أحداث هذه الفترة ، عُرِفت هذه السور والآيات بالقرآن المكي .

والفترة الثانية : ـ في المدينة النبوية ، نزلت فيها سور وآيات من القرآن الكريم على النبي ـ ﷺ ـ بما يتناسب مع أحداث هذه الفترة ، عُرِفت هذه السور والآيات بالقرآن المدني .

ومن ثم أصبح من علوم القرآن التي عُنِي بها العلماء قديماً وحديثاً علم "المكي والمدني" .

ولما كنت أقرأ القرآن الكريم وأحفظه لفت نظري ـ كما لفت نظر كثير من القارئين ـ أن كثيراً من المصاحف طُبِعَت وقد صُدِّرَت كل سورة من سور القرآن بعنوان كُتِب فيه اسم السورة ، ثم وصفها بمكية ، أو مدنية ، ثم استثناء بعض آيات بعض السور من مكيتها أو مدنيتها . فيُكْتَب ـ مثلاً ـ :"سورة كذا مكية إلا الآيات رقم كذا وكذا" . أو :"سورة كذا مدنية إلا الآيات رقم كذا وكذا" .

ولما شرفني الله ـ تعالى ـ بأن أكون واحداً من الباحثين في التفسير وعلوم القرآن وَقَرَ في قلبي أن أقوم بدراسة هذه الظاهرة ، أعني ظاهرة

المكي والمدني من سور القرآن وآياته ، مع التركيز وشدة العناية بالآيات المستثناة من كل سورة .

وكان غرضي من هذا أن أُبْرِز وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، مبناه على التناسب التام والتآلف البيِّن بين آيات القرآن الكريم المتتالية ، مع أن بعض هذه الآيات مكي والآيات التي تليها مدنية ، أو العكس.

ورتبت للقيام بهذا أن أسير على الخطوات الآتية :

أولاً : إثبات مكية أو مدنية السورة .

ثانياً : دراسة كل آية من الآيات المستثناة وإثبات مكيتها أو مدنيتها .

ثالثاً : إذا ثبت أن السورة مكية ـ مثلاً ـ وفيها آيات مستثناة وثبت أن تلك الآيات مدنية أجتهد في إبراز وجوه الترابط والتناسب والتآلف بين تلك الآيات المستثناة وبين السياق الذي وردت فيه ، وكذلك أفعل إن كانت السورة مدنية وفيها آيات مكية .

لكن لما بدأت البحث والدراسة ، واتبعت الضوابط العلمية للبحث العلمي ، فوجئت بشيء عجيب لم أكن أتوقعه ،..... هذا الشيء لن أظهره الآن ، لكن أَدَعُ القاريء الكريم يستظهره بنفسه .

ولما كان هذا البحث طويل الذيل ، يشمل سور القرآن كلها قسمته إلى أجزاء ، وكان الجزء الأول بعنوان :**"المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة"**:

وأسير في هذا البحث على وفق الخطوات الآتية :

أولاً : أعقد دراسة تأصيلية للمكي والمدني في القرآن الكريم ، أذكر فيها تعريف المكي والمدني ، وفوائد معرفته ، والطرق التي يُعْرَف بها ، ودراسة الروايات التي عددت المكي والمدني ، وضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما ، ثم دراسة ظاهرة الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية ، وظاهرة تكرر نزول شيء من القرآن الكريم .

ثانياً : أدرس مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث ، لنتمكن ـ بعد ذلك ـ من وصفها بأنها مكية أو مدنية .

ثالثاً : إذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات ، لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟

وعملي في هذا أن أنشيء لكل سورة فصلاً أجعله باسم السورة ، ثم أقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : في نزول السورة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من السورة .

ثم أبحث كل آية في مطلب مستقل .

وبناء عليه تَكَوَّن هذا البحث من : مقدمة ، وبابين ، وخاتمة :

أما المقدمة : فأذكر فيها الدافع لهذا البحث ، والمنهج المتبع فيه ، وخطة العمل .

الباب الأول
المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : ـ تعريف المكي والمدني وفوائد معرفته .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ تعريف المكي والمدني .

المبحث الثاني : ـ فوائد معرفة المكي والمدني .

الفصل الثاني : ـ طرق معرفة المكي والمدني .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : ـ الروايات التي عددت المكي والمدني .

المبحث الثاني : ـ ضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما .

المبحث الثالث : ـ الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية .

المبحث الرابع : ـ هل تكرر نزول شيء من القرآن؟

الباب الثاني
نزول السور والآيات من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : ـ سورة الفاتحة .

وفيه مبحث واحد وهو : نزول سورة الفاتحة .

الفصل الثاني : ـ سورة البقرة . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة البقرة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة البقرة .

الفصل الثالث : ـ سورة آل عمران . وفيه مبحث واحد : نزول سورة آل عمران .

الفصل الرابع : ـ سورة النساء . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة النساء .

المبحث الثاني : ـ الآيتان المستثناتان من سورة النساء .

الفصل الخامس : ـ سورة المائدة . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة المائدة .

المبحث الثاني : ـ الآيتان المستثناتان من سورة المائدة .

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات .

ثم الفهارس العلمية .

وبعد ، فإني أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ييسر لي إتمامه ، وإتمام سائر الأبحاث المكملة له ، وأن ينفعني بكل هذا في الدنيا والآخرة ، وينفع به كل من رآه ، أو طالعه ، أو نظر فيه .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

الباب الأول
المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : ـ تعريف المكي والمدني وفوائد معرفته .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ تعريف المكي والمدني .

المبحث الثاني : ـ فوائد معرفة المكي والمدني .

الفصل الثاني : ـ طرق معرفة المكي والمدني .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : ـ الروايات التي عددت المكي والمدني .

المبحث الثاني : ـ ضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما .

المبحث الثالث : ـ الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية .

المبحث الرابع : ـ هل تكرر نزول شيء من القرآن؟

الفصل الأول
تعريف المكي والمدني وفوائد معرفته

المبحث الأول
تعريف المكي والمدني

المكي في اللغة : كل ما نُسِب إلى مكة ، وهي أم القرى ، وهي أشرف بقاع الأرض[1].

والمدني في اللغة : كل ما نُسِب إلى المدينة ، وهي نسبة غلبت على مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ[2]﴾ ، وقال : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ[3]﴾[4].

أما المكي والمدني في الاصطلاح فللعلماء فيه ثلاثة اتجاهات :

---

(١) انظر الأنساب لعبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني ١٢/ ٤١٧ ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ ، الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م .

(٢) سورة المنافقون (٨) .

(٣) سورة التوبة (١٠١) .

(٤) انظر الأنساب ١٢/ ١٥٢ ، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبدالله الحميري ص ٥٢٩ ، ط مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ ، الثانية ١٩٨٠م .

الاتجاه الأول : أن المكي : ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني : ما وقع خطاباً لأهل المدينة[1].

وهذا التعريف لوحظ فيه المخاطَبون ، وفُسِّر بهذا قول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :" كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ :«يَا أَيُّهَا النَّاسُ» فَهُوَ بِمَكَّةَ، وَكُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ :«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فَهُوَ بِالْمَدِينَةِ"[2].

وذلك لأن الكفر كان غالباً على أهل مكة فخوطبوا بـ : (يا أيها الناس) ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم . ولأن الإيمان كان غالباً على أهل

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ١/ ١٨٧ ، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صورته دار المعرفة ـ بيروت ـ وبنفس ترقيم الصفحات) الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م ، بتحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٣٨ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٤٩هـ ١٩٧٤م ، بتحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

(٢) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار ٤/ ٣٣٦ ، برقم (١٥٣١) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٠ ، برقم (٤٢٩٥) ، وسكت عنه .

المدينة فخوطبوا بـ : (يا أيها الذين آمنوا) ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم ـ أيضاً ـ[١].

ومثل ما قال عبدالله بن مسعود قال بعض التابعين ، منهم : علقمة[٢]، ويحيى بن سلام[٣]، وميمون بن مهران ، وزاد : مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ :«يَا أَيُّهَا النَّاسُ» ، أَوْ : «يَا بَنِي آدَمَ» فَإِنَّهُ مَكِّيٌّ، وَمَا كَانَ :«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فَإِنَّهُ مَدَنِيٌّ[٤].

وقد توجه النقد ضد هذا الاتجاه من وجوه ثلاثة :

الو جه الأول : ـ في القرآن الكريم كثير من السور والآيات غير مُصَدَّرة بـ : (يا أيها الناس) ، ولا بـ : (يا أيها الذين آمنوا) ، فهو تقسيم

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٧ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ١/ ١٩٣ ، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة .

(٢) أخرجه عنه أبوعبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ ، ط دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت) ، الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، ومحمد بن أيوب بن الضريس في فضائل القرآن ص ٣٨ ، ط دار الفكر ـ دمشق ـ ، الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

(٣) أخرجه عنه أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الداني في البيان في عد آي القرآن ص ١٣٢ ، ط مركز المخطوطات والتراث ـ الكويت ـ ، الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

(٤) أخرجه عنه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ .

غير حاصر[١]، ولا ضابط[٢][٣].

ﷺ **الوجه الثاني** : ـ هناك بعض السور ورد فيها الخطاب لرسول الله ـ ـ وحده ، مثل فاتحة سورة الأحزاب : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ .....[٤]﴾ ، وسورة الكوثر : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ، ومن المستبعد أن يجعل أصحاب هذا الاتجاه خطاب الرسول ـ ﷺ ـ خطاباً لأهل مكة أو لأهل المدينة[٥].

والوجه الثالث : ـ بعض السور المدنية جاء الخطاب فيها بـ : (يا أيها الناس) ، مثل سورة البقرة المدنية التي يقول الله ـ تعالى ـ فيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) الحَصْر : إيراد الشيء على عدد معين بحيث لا يُزاد في هذا العدد ولا يُنقُص منه . انظر لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ٤/ ١٩٤ ، ط دار صادر ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٤هـ ، والتوقيف على مهمات التعاريف لعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ص ١٤١ ، ط عالم الكتب ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

(٢) الضبط : لزوم الشي ـ وثباته وعدم تغيره . انظر لسان العرب ٧/ ٣٤٠ ، والتعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ص ١٣٧ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٣) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ص ٢٢١ ، ط مكتبة السنة ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٤) سورة الأحزاب (١) .

(٥) انظر برهان الزركشي ١/ ١٩١ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ .

ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، **وفيها** : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾[2]، **وقد صُدِّرت سورة النساء المدنية بقوله ـ تعالى ـ** : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا .....[3] ﴾ ، **وفيها** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ .....[4] ﴾ .

وبعض السور المكية جاء الخطاب فيها بـ : (يا أيها الذين آمنوا) ، مثل سورة الحج المكية عند كثير من العلماء التي يقول الله ـ تعالى ـ فيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[5][6].

---

(١) سورة البقرة (٢١) .

(٢) سورة البقرة (١٦٨) .

(٣) سورة النسا (١) .

(٤) سورة النساء (١٧٠) .

(٥) سورة الحج (٧٧) .

(٦) انظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي- ٣/ ١٥٥١ ، ط كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ، وبرهان الزركشي- ١/ ١٩٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ .

ولم يستبعد بعض العلماء أن يكون المقصود من هذا القول الحمل على الأكثر الأغلب[١].

:"ولكن صحة الكلام في ذاته لا تُسَوِّغ صحة التقسيم ، فإن من شأن التقسيم السليم : أن يكون ضابطاً حاصراً ، وأن يكون مطرداً[٢]. وقيد الغالبية المراد لا يحقق الضبط والحصر- وإن حقق الاطراد ، فيبقى التقسيم معيباً[٣]".

الاتجاه الثاني : - أن المكي : ما نزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة، ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي - ﷺ - بمنى وعرفات والحديبية .

والمدني : ما نزل بالمدينة ، ويدخل في المدينة ضواحيها - أيضًا - كالمنزل عليه - ﷺ - في بدر، وأُحُد[٤]. وهذا التعريف لوحظ فيه مكان النزول .

لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل من القرآن في الأسفار بغير مكة والمدينة وضواحيهما ؛ فإنه لا يعد مكياً ولا

---

(١) انظر الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٣/ ١٥٥١ ، وبرهان الزركشي ١/ ١٩٠ و ١٩١ ، وعلوم القرآن الكريم لنور الدين عتر الحلبي ص ٥٧ ، ط مطبعة الصباح - دمشق - الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

(٢) اطِّراد الشيء : متابعة بعضه بعضاً ، وتوالي أفراده وجريهم مجرى واحداً كجري الأنهار. انظر التوقيف على مهمات التعاريف ص ٥٤ .

(٣) مناهل العرفان ١/ ١٩٤ ، وانظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٢ .

(٤) انظر البرهان ١/ ١٨٧ ، والإتقان ١/ ٣٧ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٣ .

مدنياً ، ومَثَّلوا له بقول الله ـ تعالى ـ في سورة التوبة : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴿٤٢﴾﴾ فقالوا : إنها نزلت بتبوك[٢]. وقوله ـ تعالى ـ في سورة الزخرف : ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[٣]، فقالوا : إنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء[٤]. ولا ريب أن عدم

---

(١) سورة التوبة (٤١) .

(٢) لم أجد ما يدل على أن هذه الآية نزلت لما وصل النبي ـ ﷺ ـ إلى أرض تبوك ، ولكن كل ما ذُكِر في سبب نزولها : أنها نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . انظر جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١٤/ ٤٢٦ ، ط مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، وأسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٢٤٧ ، ط دار الإصلاح ـ الدمام ـ الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

(٣) سورة الزخرف (٤٥) .

(٤) لم أجد ما يدل على أن هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء غير ما رواه ابن جرير الطبري عن التابعي جابر بن زيد في هذا المعنى ، ثم رجح الطبري خلافه .

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ :"اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ ومن الذين أُمِر رسول الله ـ ﷺ ـ بمسألتهم ذلك ، فقال بعضهم : الذين أُمِر بمسألتهم ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ مؤمنو أهل الكتابين : التوراة، والإنجيل.....

الضبط في التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام ، وذلك عيب يخل بالمقصود الأول من التقسيم وهو الضبط والحصر[1].

قلت : الأولى أن يُمَثَّل لما نزل بالأسفار بآية التيمم التي في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ [2]﴾ ، فقد ثبت أنها نزلت على النبي - ﷺ - في بعض أسفاره[3].

وقال آخرون : بل الذي أُمِر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جُمِعوا له ليلة أُسرِي به ببيت المقدس .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ، في قوله : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ الآية ، قال : جُمِعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس ، فأمهم ، وصلى بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال : فكان أشد إيماناً ويقيناً بالله وبما جاء من الله أن يسألهم .

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : عني به : سل مؤمني أهل الكتابين":اهـ . جامع البيان ١٢/ ٦١١ و ٦١٢ .

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٣ ، وعلوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص٥٦، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٠ .

(٢) سورة المائدة (٦) .

(٣) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : سَقَطَتْ قِلاَدَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ المَدِينَةَ ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَنَزَلَ فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ

الاتجاه الثالث : ـ أن المكي : ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ـ ﷺ ـ إلى المدينة ، حتى ولو نزل بغير مكة . والمدني : ما نزل من القرآن بعد الهجرة ، وإن كان نزوله بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع ، أو بسفر من الأسفار[1]. وهذا التعريف روعي فيه الزمان .

فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلاَدَةٍ؟! فَبِي المَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، وَقَدْ أَوْجَعَنِي ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ ، فَالْتُمِسَ المَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ .....﴾ الآية سورة المائدة (٦) ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ .

أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، برقم (٤٦٠٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٣٤١ ، برقم (١٠٦٢) .

فَلَكَزَنِي : من اللكز وهو الضرب بقبضة اليد على العضد . انظر العين ٥/ ٣٢١ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٢/ ١٧٤ ، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ .

فَبِي المَوْتُ : أصابني هَمٌّ وألم مثل الموت ؛ لمكان رسول الله ـ ﷺ ـ مني ، فخفت أن أكون سبب تنبهه عن النوم . انظر الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي الكرماني ٢٣/ ٢٢٧ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

(١) انظر البرهان ١/ ١٨٧ ، والإتقان ١/ ٣٧ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ .

وهو الراجح ، والأقرب إلى القبول ، من وجهين :

الوجه الأول : ـ أنه أقرب إلى فهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وفهم التابعين ، حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة ، وسورة الفتح ، وسورة المنافقون[1].

ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو في طريق عودته من تبوك[2].

ونزلت سورة الفتح على النبي ـ ﷺ ـ وهو عائد من صلح الحديبية[3].

---

(١) يأتي قريباً ـ إن شاء الله ـ في هذا البحث الروايات عن الصحابة وعن التابعين في عَدِّ السور المكية وعَدِّ السور المدنية.

(٢) انظر جامع البيان ١٤/ ٩٧ وما بعدها ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٤٦ وما بعدها ، ولباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ١٠٤ وما بعدها ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بتحقيق: أحمد عبدالشافي .

وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام . انظر معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي ٢/ ١٤ ، ط دار صادر ـ بيروت ـ الثانية ١٩٩م .

(٣) عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَا : «أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي شَأْنِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا» .

أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٩٨ برقم (٣٧١٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

ونزلت سورة المنافقون عليه ـ ﷺ ـ وهو في غزوة بني المصطلق[1].

الوجه الثاني : ـ لأنه ضابط ، وحاصر ، ومطرد ، إذ تنعدم على القول به الواسطة ، ولا يرد عليه ما ينقضه ، والاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني ، ولذا اعتمده جمهور العلماء واشتهر بينهم[2].

والحُدَيْبِيَة : قرية متوسطة ، بينها وبين مكة مسيرة يوم ، وبينها وبين المدينة مسيرة تسعة أيام ، سُمِّيَت بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٢٢٩ .

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٣١ .

وبنو المُصْطَلِق : قبيلة من قبائل خزاعة من أزد اليمن ، غزاهم النبي ـ ﷺ ـ سنة خمس من الهجرة بعد ما بلغه أنهم يجمعون له الجيوش ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع ، فهزم الله بني المصطلق . انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ص ٧٢ ، ط دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

(٢) انظر البرهان ١/ ١٨٧ ، والإتقان ١/ ٣٧ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٠ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٦٨ ، ط دار العلم للملايين ، الرابعة والعشرون ٢٠٠٠ .

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ :"كل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة . وإنما يُوْسَم بالمكي ما نزل قبل الهجرة[1]":اهـ

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :"المكي : ما نزل قبل الهجرة ، والمدني : ما نزل بعد الهجرة ، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان ، حتى ولو كان بمكة أو عرفة[2]":اهـ

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :"نزل كثير من القرآن في غير الحرمين حيث كان النبي ـ ﷺ ـ في سفر حج أو عمرة أو غزاة ، ولكن الاصطلاح أن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي ، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، سواء نزل في البلد حال الإقامة أو في غيرها حال السفر[3]":اهـ

وبهذا الاعتبار رجح المحققون أن كل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، ولا يعنون بهذا أنه نزل في نفس المدينة بالتفصيل كل آية آية ، وإنما المراد أنه نزل في الزمن الذي كانت المدينة فيه هي عاصمة الإسلام ، وكان

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٢/ ١٤٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ بتحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد .

(٢) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ١/ ١٨ ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، بتحقيق : سامي محمد سلامة .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٥ .

للمسلمين فيه قوة تمنعهم ونظام يجمع شملهم ، وعلى هذا يكون حكم ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع كحكم ما نزل في الحديبية وبدر، وغير ذلك من المواضع التي كان يخرج إليها النبي - ﷺ - لغزو أو غيره على عزم العود إلى المدينة[١].

حكم ما نزل على النبي - ﷺ - في طريق هجرته من مكة إلى المدينة : -

أما ما نزل على النبي - ﷺ - في طريق هجرته من مكة إلى المدينة فهو من القرآن المكي .

قال يحيى بن سلَّام[٢] : مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ ، ومَا نَزَلَ بِطَرِيقِ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَن يَّبْلُغَ النَّبِيُّ الْمَدِينَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَكِّيِّ ، ومَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ فِي أَسْفَارِهِ بَعْدَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَدَنِيِّ[٣].

---

(١) انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا ٤/ ٢٦٢ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

(٢) هو يحيى بن سلَّام بن ثعلب أبو زكريا البصري ، وُلِد سنة أربع وعشرين ومائة ، وسكن إفريقية زمناً ، له تفسير ليس لأحد من المتقدمين مثله ، وبرع في القراءات واللغة ، مات بمصر سنة مائتين . انظر سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٨/ ١٢٠ ، ط دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ، وطبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداوودي ٢/ ٣٧١ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت -

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب البيان في عد آي القرآن ص ١٣٢ .

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذا الأثر :"هذا أثر لطيف ، يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً[١]":اهـ

وقال محمد أبو شُهبة ـ رحمه الله ـ :"المكي : ما نزل قبل الهجرة ـ وإن كان نزوله بغير مكة ـ ويدخل فيه ما نزل على النبي ـ ﷺ ـ في سفر الهجرة[٢]":اهـ

ما عليه الاعتماد في وصف السورة بكونها مكية أو مدنية : ـ

ولو قيل : ما هو المُعْتَبَر في وصف السورة بأنها مكية أو بأنها مدنية ، هل لأن الآيات المفتتحة بها مكية أو مدنية ، أم العبرة بالغالب من آياتها ؟

قلت : قد ورد ما يدل على أن العبرة في هذا بنزول فاتحة السورة ، فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ فَاتِحَةُ سُورَةٍ بِمَكَّةَ فَكُتِبَتْ بِمَكَّةَ، ثُمَّ يَزِيدُ اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ[٣].

وقال عبدالعظيم الزرقاني ـ رحمه الله ـ :"الأنسب بالاصطلاح المشهور في معنى المكي والمدني أن يقال : إذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة كتبت مكية ، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة كتبت مدنية ، ثم يذكر المستثنى من تلك السور إن كان هناك استثناء ، فيقال : سورة

---

(١) الإتقان ١/ ٣٧ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٠ .

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٣٣ .

كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية ، أو سورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية ، أو نحو ذلك كما تراه في كثير من المصاحف عنواناً للسورة[١]":اهـ

وقال غانم قدوري ـ رحمه الله ـ :"علماء القرآن من الصحابة والتابعين تمكنوا من تحديد السور المكية والسور المدنية معتمدين في ذلك على نزول أول السورة[٢]":اهـ

قلت : لو استقرأنا سور القرآن وآياته لوجدنا أن السور التي افتتحت بآيات مكية فإن سائر آيات السورة أو أغلبها مكي ـ أيضاً ـ ، وكذلك لو استقرأنا سور القرآن وآياته لوجدنا أن السور التي افتتحت بآيات مدنية فإن سائر آيات السورة أو أغلبها مدني ـ أيضاً ـ[٣]. ، فالاعتباران متلازمان ـ والله أعلم ـ .

---

(١) مناهل العرفان ١/ ١٩٩ .

(٢) محاضرات في علوم القرآن لغانم بن قدوري ص ٨١ ، ط دار عمار ـ عَمَّان ـ الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .

(٣) قيل : إن الإحدى عشرة آية الأولى من سورة العنكبوت مدنية ، وسائر آيات السورة مكية . وقيل : إن الثلاث آيات الأولى من سورة الماعون مكية ، والأربع آيات الباقية منها مدنية . ومحل دراسة ومناقشة هذا القول وذاك يكون في بحث لاحق ـ إن شاء الله ـ .

قال أبو شهبة ـ رحمه الله ـ :"الذي يظهر أن اعتمادهم في وصف السورة بكونها مكية أو مدنية إنما يكون تبعاً لما يغلب فيها أو تبعاً لفاتحتها[١]".":اهـ

تنبيه : قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى، ويمكن أن يقترن نزول عدة سور في مدة واحدة ، فقولهم : نزلت سورة كذا بعد سورة كذا، ليس المراد منه أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء الأخرى ، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها [٢].

فسورة البقرة ـ مثلاً ـ أول سورة أنزلت بالمدينة ، كما حكاه غير واحد من أهل العلم[٣]، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك ، كما قال ابن كثير

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٣ .

(٢) انظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن عاشور ١/ ٢٠٢ و ٣/ ١٤٤ ، ط الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٤م .

(٣) انظر المحرر الوجيز ١/ ٨١ ، وزاد المسير ١/ ٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ١/ ١٥٢ ، ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

ـ رحمه الله ـ :"البقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، وهي من أوائل ما نزل بها[١]":اهـ

وقال ابن حجر :"اتفقوا على أنها ـ أي سورة البقرة ـ مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها[٢]":اهـ

ومع ذلك ففيها آيات من أواخر القرآن نزولاً ، كآيات تحريم الربا ، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[٣]، فإنها من آخر ما نزل ، ولا شك أن بين نزول أول سورة البقرة ونزول تلك الآيات نزلت سور وآيات أخرى[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٦ .

(٢) فتح الباري ٨/ ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة (٣٨١) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ١٧/ ١٩٣ ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة النبوية ـ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٦ .

المبحث الثاني
فوائد معرفة المكي والمدني

للعلم بالمكي والمدني فوائد أهمها ما يلي :

الفائدة الأولى : ـ تمييز الناسخ من المنسوخ ، وذلك يُتَصَوَّر فيما إذا وردت في مسألة واحدة آيتان أو أكثر ، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفاً للحكم في غيرها ، ثم عُرِف أن بعضها مكي وبعضها مدني فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي ، نظراً إلى تأخر المدني عن المكي[1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ :"ينبغي له ـ يعني للمفسر ـ أن يعرف المكي من المدني ؛ ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام ، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام ، وما افترض الله في أول الإسلام ، وما زاد عليه من الفرائض في آخره . فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن ، ولا يمكن أن ينسخ المكيُ المدنيَ ، لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له[2]":اهـ

---

(١) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ص ٦٤٩ ، ط مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الأولى ١٤٠٨ هـ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٧ ، والإتقان ١/ ٣٦ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢١ .

الفائدة الثانية : ـ الاستعانة بمعرفة المكي والمدني في تفسير القرآن الكريم ؛ فإن معرفة زمان نزول الآية تُعِين على فهم المراد بها ، ومعرفة مدلولاتها ، وما يراد فيها[١].

الفائدة الثالثة : ـ معرفة تاريخ التشريع ، والتبصر بالمراحل التاريخية التي سار عليها ديننا السامي ، والوقوف على سنة الله في التدرج بالأمة من الأصول إلى الفروع ، ومن الأخف إلى الأثقل ، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد[٢].

أخرج البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ[٣]، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ[٤] النَّاسُ إِلَى

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ص ٥٨ ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

(٢) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٥ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٥١ ، ط دار المنار ، الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(٣) المفصل : السور الصغيرة ، وسميت بالمفصل لكثرة الفواصل بينها بالبسملة ، وهي ـ على الراجح ـ من أول سورة الحجرات حتى سورة الناس ، وقيل غير ذلك . انظر جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي ١/ ١٨٦ ، ط مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ، وفتح الباري ١/ ١٦٧ .

(٤) ثاب : رجع ، وثَبَتَ ، واستقر . انظر لسان العرب ١/ ٢٤٣ .

الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ : لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا : لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا ، وَلَوْ نَزَلَ : لاَ تَزْنُوا ، لَقَالُوا : لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا[1].

:"أشارت ـ رضي الله عنها ـ إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل ، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة ، وللكافر والعاصي بالنار ، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أُنْزِلَت الأحكام ، ولهذا قالت : ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندعها . وذلك لما طُبِعَت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[2]":

قال مناع القطان ـ رحمه الله ـ :"نجد أعلام الهدى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يضبطون منازل القرآن آية آية ، ضبطاً يحدد الزمان والمكان، وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع يستند إليه الباحث في معرفة أسلوب الدعوة ، وألوان الخطاب ، والتدرج في الأحكام والتكاليف[3]":اهـ

الفائدة الرابعة : ـ استخراج سيرة الرسول ـ ﷺ ـ وذلك بمتابعة أحواله بمكة ومواقفه في الدعوة ، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨٥ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، برقم (٤٩٩٣) ، وعبدالرزاق الصنعاني في مصنفه ٣/ ٣٥٢ ، برقم (٥٩٤٣) .

(٢) فتح الباري ٩/ ٤٠ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٤٩ .

فإنَّ تتابع الوحي على رسول الله ـ ﷺ ـ سَايَر تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت ، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالاً للشك فيما رُوِيَ عن أهل السير موافقاً له ، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات[1].

فالعلم بالمكي والمدني جدير بالعناية البالغة ، وجدير أن يُعَدَّ ـ بحق ـ منطلق العلماء لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية ، والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف ، والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدينة ، وفي البادية والحاضرة ، والوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب[2].

الفائدة الخامسة : ـ بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به ، حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب ، بل تتبعوا أماكن نزوله ، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها ، ما نزل بالحضر ـ وما نزل بالسفر، ما نزل بالنهار وما نزل بالليل ، ما نزل في الصيف وما نزل في

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٥٩ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٦٧ .

الشتاء ، إلى غير ذلك من الأحوال[١]. وفي ذلك دليل على الثقة بهذا القرآن ، وسلامته من التغيير والتحريف ، فلا يُعْقَل بعد هذا أن يسكتوا ويتركوا أحداً يمسه بسوء ويعبث به وهم المتحمسون لحراسته وحمايته والإحاطة بكل ما يتصل به أو يحتف بنزوله إلى هذا الحد[٢].

---

(١) أفرد السيوطي كل حال من هذه الأحوال بالدراسة في كتابه الإتقان في علوم القرآن ، من النوع الأول حتى النوع السادس ١/ ٣٦ ـ ٩٠ .

(٢) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٥ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٢ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٥١ .

الفصل الثاني
طرق معرفة المكي والمدني

لمعرفة المكي والمدني طريقان :

الطريق الأول : ـ الطريق السماعي ، ويعتمد على النقل والرواية عمن شاهدوا الوحي والتنزيل ، فيُرْجَع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة الذين شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زمانه ، أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله من الصحابة[1].

ولم يرد عن النبي ـ ﷺ ـ في ذلك نص صريح ، فلم يقل ـ مثلاً ـ : اعلموا أن قدر ما أنزل عَلَيَّ من القرآن بمكة هو كذا وكذا ، وأن ما أنزل بالمدينة كذا وكذا ، وفصله لهم وألزمهم معرفته ، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر، وعُرِفَت الحال فيه ، وذلك لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، فقد يُعْرَف ذلك بغير نص الرسول ـ ﷺ ـ[2].

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٩ ، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٨ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٨ .

(٢) انظر الانتصار للقرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر الباقلاني ١/ ٢٤٧ ، ط دار الفتح ـ عَمَّان ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ، والإتقان ١/ ٣٨ .

ثم إن المسلمين في زمان النبي - ﷺ - لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان؛ لأنهم يشاهدون الوحي والتنزيل ، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله[1].

ولا ريب أن كثيراً من الصحابة كانوا على علم كامل بالمكي والمدني ، به استطاعوا أن يستقصوا تلك الجزئيات الدقيقة التي حفلت بها كتب التفسير بالمأثور والمؤلفات الكثيرة في علوم القرآن .

وفي وسعنا أن نُكَوِّن فكرة عن غزارة علم الصحابة في هذا الشأن من خلال ما أخرجه البخاري عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : «وَاللهَّ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهَّ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهَّ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهَّ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ[2]»

ولكن ابن مسعود - مهما نصف من سعة علمه - ليس الصحابي الوحيد الذي يُعْتَمَد عليه في هذا الشأن ، فقد كان بين الصحابة - بلا

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨٧ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب النبي - ﷺ - ، برقم (٥٠٠٢) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٣ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل عبدالله بن مسعود وأمه - رضي الله عنهما - ، برقم (٢٤٦٣) .

ريب ـ من أتيح له أن يشهد ما شهد ابن مسعود ، وربما رأى بعضهم أكثر مما رآه[1].

قال عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ :"كُنْتُ أَلْزَمُ الأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ مِنَ الْمُهَاجِرِينِ وَالأَنْصَارِ فَأَسْأَلَهُمْ عَنْ مَغَازِي رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ . وَكُنْتَ لا آتِي أَحَدًا مِنْهُمْ إِلا سُرَّ بِإِتْيَانِي لِقُرْبِي مِنْ رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَوْمًا. وَكَانَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ. عَمَّا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ : نَزَلَ بِهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً وَسَائِرُهَا بِمَكَّةَ[2].

الطريق الثاني : ـ الطريق القياسي الاجتهادي ، ويستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني ، فإذا وُجِدَ في السورة خصائص القرآن المكي قالوا : إنها مكية، وإذا وُجِدَ فيها خصائص القرآن المدني قالوا : إنها مدنية ، وإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا : إنها مدنية ، وإذا ورد في السورة المدنية

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٨ .

(٢) أخرجه محمد بن سعد بن منيع في الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م . وسنده متصل صحيح ، كل رجاله ثقات .

آية تحمل طابع التنزيل المكي أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا : إنها مكية[1].

ولا شك أن السماعي يعتمد على النقل ، والقياسي يعتمد على العقل والنقل والعقل هما طريقا المعرفة السليمة والتحقيق العلمي .

ومن ثم نستطيع دراسة هذين الطريقين من خلال مبحثين :

المبحث الأول : ـ الروايات التي عددت المكي والمدني .

المبحث الثاني : ـ ضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما .

ومن خلال هذين المبحثين نستطيع ـ بفضل الله ـ معرفة السور المكية ، والسور المدنية ، والسور المختلف فيها .

ولا تكتمل المسألة إلا بالمبحث الثالث ، والمبحث الرابع .

المبحث الثالث : الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية .

المبحث الرابع : هل تكرر نزول شيء من القرآن؟

---

(١) انظر البرهان ١/ ١٨٩ ، والإتقان ١/ ٦٩ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ص ٦٠ .

المبحث الأول
الروايات التي عددت المكي والمدني

قد وردت مجموعة من الروايات عن الصحابة والتابعين حددت السور المكية والمدنية ، وفيما يلي نسرد هذه الروايات مع بيان درجتها من حيث الصحة والضعف . ثم نذكر على ضوئها السور المتفق علي مكيتها أو مدنيتها والسور المختلف فيها .

الرواية الأولى : ـ رواية عطاء الخرساني عن ابن عباس .

أخرج ابن الضُرَيْس[1] بسنده عن عثمان بن عطاء الخرساني عن أبيه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : "أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ، فَكَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ فَاتِحَةُ سُورَةٍ بِمَكَّةَ فَكُتِبَتْ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ يَزِيدُ اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثُمَّ ن وَالْقَلَمِ ، ثُمَّ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، ثُمَّ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، ثُمَّ الْفَاتِحَةَ ، ثُمَّ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ، ثُمَّ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، ثُمَّ

---

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضُرَيْس الرازي ، من حفاظ الحديث ، له كتاب فضائل القرآن ، ومما يدل على سعة علمه أنه قال : آخر قدمة قدمتها البصرة أديت أجرة الوراقين عشرة آلاف درهم . مات سنة أربع وتسعين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧١ ، وطبقات الحفاظ لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٢٨٧ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ .

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، ثُمَّ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، ثُمَّ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ، ثُمَّ وَالضُّحَى ، ثُمَّ أَلَمْ نَشْرَحْ ، ثُمَّ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ وَالْعَادِيَاتِ ، ثُمَّ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، ثُمَّ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، ثُمَّ أَرَأَيْتَ الَّذِيَ يُكَذِّبُ ، ثُمَّ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، ثُمَّ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ، ثُمَّ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، ثُمَّ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، ثُمَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، ثُمَّ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْ قَدْرِ، ثُمَّ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، ثُمَّ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، ثُمَّ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، ثُمَّ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ الْقَارِعَةُ ، ثُمَّ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ، ثُمَّ وَالْمُرْسَلَاتِ ، ثُمَّ ق وَالْقُرْآنِ ، ثُمَّ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، ثُمَّ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، ثُمَّ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ، ثُمَّ ص وَالْقُرْآنِ ، ثُمَّ الْأَعْرَافَ ، ثُمَّ قُلْ أُوحِيَ ، ثُمَّ يس وَالْقُرْآنِ ، ثُمَّ الْفُرْقَانَ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةَ[1]، ثُمَّ كهيعص ، ثُمَّ طه ، ثُمَّ الْوَاقِعَةَ ، ثُمَّ طسم الشُّعَرَاءِ ، ثُمَّ طس النَّمْلِ ، ثُمَّ الْقَصَصَ ، ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ[2]، ثُمَّ يُونُسَ ، ثُمَّ هُودَ ، ثُمَّ يُوسُفَ ، ثُمَّ الْحِجْرَ، ثُمَّ الْأَنْعَامَ ، ثُمَّ الصَّافَّاتِ ، ثُمَّ لُقْمَانَ ، ثُمَّ سَبَأَ ، ثُمَّ الزُّمَرَ، ثُمَّ حم الْمُؤْمِنِ[3]، ثُمَّ حم السَّجْدَةِ[4]، ثُمَّ حم عسق ، ثُمَّ الزُّخْرُفَ ، ثُمَّ الدُّخَانَ ، ثُمَّ الْجَاثِيَةَ ، ثُمَّ الْأَحْقَافَ ، ثُمَّ الذَّارِيَاتِ ، ثُمَّ

---

(١) يعني سورة العنكبوت .

(٢) يعني سورة الإسراء .

(٣) يعني سورة غافر .

(٤) يعني سورة فصلت .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، ثُمَّ الْكَهْفَ ، ثُمَّ **النَّحْلَ** ، ثُمَّ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ، ثُمَّ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءَ ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ ، ثُمَّ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ ، ثُمَّ الطُّورَ، ثُمَّ تَبَارَكَ الْمُلْكِ ، ثُمَّ الْحَاقَّةَ ، ثُمَّ سَأَلَ سَائِلٌ ، ثُمَّ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، ثُمَّ النَّازِعَاتِ ، ثُمَّ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، ثُمَّ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ، ثُمَّ الرُّومَ ، ثُمَّ الْعَنْكَبُوتَ ، ثُمَّ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ** .

فَهَذَا مَا أَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِمَكَّةَ ، وَهِيَ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سُورَةً .

ثُمَّ أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، ثُمَّ الْأَنْفَالَ ، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ ، ثُمَّ الْأَحْزَابَ ، ثُمَّ الْمُمْتَحِنَةَ ، ثُمَّ النِّسَاءَ ، ثُمَّ **إِذَا زُلْزِلَتِ** ، ثُمَّ الْحَدِيدَ ، ثُمَّ سُورَةَ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ **الرَّعْدَ** ، ثُمَّ سُورَةَ **الرَّحْمَنِ** ، ثُمَّ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ** ، ثُمَّ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ، ثُمَّ **لَمْ يَكُنْ** ، ثُمَّ الْحَشْرَ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ، ثُمَّ النُّورَ، ثُمَّ **الْحَجَّ** ، ثُمَّ الْمُنَافِقُونَ ، ثُمَّ الْمُجَادَلَةَ ، ثُمَّ الْحُجُرَاتِ ، ثُمَّ لِمَ تُحَرِّمْ ، ثُمَّ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ **التَّغَابُنَ** ، ثُمَّ **الْحَوَارِيُّونَ**[1]، ثُمَّ الْفَتْحَ ، ثُمَّ الْمَائِدَةَ ، ثُمَّ التَّوْبَةَ .

فَذَلِكَ ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً ، فَجَمِيعُ الْقُرْآنِ مِائَةُ سُورَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةً[2]".

---

(١) يعني سورة الصف .

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٣٣ ، من طريق عمر بن هارون قال : حدثنا عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس... . وهذا سند ضعيف . فعمر بن هارون بن يزيد بن جابر بن سلمة أبو حفص الثقفي البلخي ضعيف كما في تاريخ بغداد للخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ١١/ ١٨٧ ،

الرواية الثانية : ـ رواية عكرمة ، والحسن بن أبي الحسن البصري .

أخرج الإمام البيهقي[1] . ـ رحمه الله ـ بسنده عن عِكْرِمَةَ[1]، وَالْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ[2]، قَالَا : أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبدالرحمن المزي ٢١/ ٥٢٠ ، ولسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧/ ٣٢١ .

وعثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ضعيف كما في التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري ٦/ ٢٤٤ ، وأحوال الرجال لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ص ٢٧٥ ، والكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج ٢/ ٧٧٩ .

وعطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله صدوق يهم كثيراً ويرسل ولم يلق ابن عباس ، كما في الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ٦/ ٣٣٤ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٠٦ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٩٢ .

وقد ذكر ابن الضريس في فضائله ص ٣٥ رواية أخرى بنفس السند ولكن عن ابن جريج عن عطاء الخرساني عن ابن عباس بنحو الرواية الأولى . وعبدالملك بن عبد العزيز بن جريج ثقة ، ولكنه كان يدلس ويرسل كما في الجرح والتعديل٥/ ٣٥٦، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨ ، والتقريب ص ٣٦٣.

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، نسبة إلى (بيهق) من قرى (نيسابور) ، الحافظ الإمام صاحب كتاب (السنن الكبير) ، و(السنن الصغير) ، و(دلائل النبوة) ، وغير ذلك ، قال الذهبي : لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته

خَلَقَ ... ، وَن وَالْقَلَـمِ..، وَالْمُزَّمِّـلَ ، وَالْمُدَّثِّرَ، وتَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ..، وإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ..، وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى..، وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى..، وَالْفَجْرِ، وَالضُّحَى ، وَالإِنْشِرَاحَ : أَلَمْ نَشْرَحْ..، وَالْعَصْرِ، والعاديات ، والكوثر، وأَلْهَاكُمُ..، وأَرَأَيْتَ..، وقُلْ يَا أَيُّهَا الْكافِرُونَ..، وأصحاب الفيل ، والفَلق ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ..، وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ..، وَالنَّجْمِ ، وعَبَسَ وَتَوَلَّى..، وإِنَّا أَنْزَلْناهُ..[٣]، وَالشَّمْسِ وَضُحاها..، وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ..، وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ..، ولِإِيلافِ قُرَيْشٍ ... ، وَالْقَارِعَةَ، وَلَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ... ، وَالْهُمَزَةَ ، والمرسلات ، وق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ..،

بالاختلاف . مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ١/ ٧٥ ، ط دار صادر ـ بيروت ـ الأولى ١٩٧١ م ، وسير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٨/ ١٦٣ .

(١) هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ، أصله من البربر من أهل المغرب ، كان لحصين بن الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس ، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن ، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير ، مات سنة أربع ومائة . انظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٥ ، والتقريب ص ٣٩٧ .

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، اسم أبيه يسار ، فقيه قاريء عابد ، مولى أم سلمة ، من خيار التابعين ، قال الشافعي : لو أشاء أقول : إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته . مات سنة عشر ومائة . انظر غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن يوسف بن الجزري ١/ ٢٣٥ ، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٥١ هـ ، والتقريب ص ١٦٠ .

(٣) يعني سورة القدر .

وَلَا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ ... ، وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ..، واقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ..، وص وَالْقُرْآنِ ... ، وَالْجِنَّ ، وَيس ، وَالْفُرْقَانَ ، وَالْمَلَائِكَةَ ، وَطه ، وَالْوَاقِعَةَ ، وَطسم ، وَطس ، وَطسم ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالتَّاسِعَةَ[1]، وَهُودَ ، وَيُوسُفَ، وَأَصْحَابَ الْحِجْرِ، وَالْأَنْعَامَ ، وَالصَّافَّاتِ ، وَلُقْمَانَ، وَسَبَأَ ، وَالزُّمَرَ، وَحم الْمُؤْمِنِ ، وَحم الدُّخَانِ ، وَحم السَّجْدَةِ ، وحم عسق ، وَحم الزُّخْرُفِ ، وَالْجَاثِيَةَ ، وَالْأَحْقَافَ ، وَالذَّارِيَاتِ ، وَالْغَاشِيَةَ ، وَأَصْحَابَ الْكَهْفِ ، وَالنَّحْلَ ، وَنُوحَ ، وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْأَنْبِيَاءَ ، وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَالم السَّجْدَةَ ، وَالطُّورِ، وتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ... ، والحاقة ، وسَأَلَ سائِلٌ ... ، وعَمَّ يَتَساءَلُونَ ... ، وَالنَّازِعَاتِ ، وإِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ... ، وإِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ ... ، وَالرُّومَ ، وَالْعَنْكَبُوتَ.

وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ... ، وَالْبَقَرَةُ ، وَآلُ عِمْرَانَ ، وَالْأَنْفَالُ، وَالْأَحْزَابُ ، والمائدة ، والممتحنة ، والنساء ، وإذا زُلْزِلَتِ..، وَالْحَدِيدُ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَالرَّعْدُ ، وَالرَّحْمَنُ ، و هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ ... ، والطلاق ، ولَمْ يَكُنِ ... ، وَالْحَشْرُ، وإِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ..، وَالنُّورُ، وَالْحَجُّ ، والمنافقون ، والمجادلة ، والحجرات ، ويا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ..، وَالصَّفُّ ، وَالْجُمُعَةُ ، وَالتَّغَابُنُ ، وَالْفَتْحُ ، وَبَرَاءَةٌ[2].

---

(١) قال البيهقي بعد إخراج هذا الأثر :"وَالتَّاسِعَةُ يُرِيدُ سُورَةَ يُونُسَ":اهـ

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٢ و ١٤٣ ، باب : ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة ، من طريق علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، قال : حدثنا يزيد النحوي عن عكرمة ، والحسن بن أبي الحسن .

قال البيهقي ـ رحمه الله ـ بعد أن أخرج هذه الرواية :"وقد سقط من هذه الرواية ذكر فاتحة الكتاب ، والأعراف ، وكهيعص ... فيما نزل بمكة":اهـ

ثم أخرج البيهقي رواية أخرى لتشهد للرواية الأولى ، وفيها ذِكْرُ السور التي سقطت منها في ذكر ما نزل بمكة . وهي الرواية الثالثة التي أذكرها الآن .

الرواية الثالثة : ـ رواية خُصَيْف عن مجاهد عن ابن عباس .

وعلي بن الحسين بن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كريز، كنيته أبو الحسن ، من أهل مرو ، يروي عن أبيه ، وروى عنه أهل بلده . ذكره محمد بن حبان الدارمي البستي في كتاب الثقات ٨/ ٤٦٠ .

وأبوه الحسين بن واقد ذكره ابن حبان ـ أيضاً ـ في الثقات ٦/ ٢٠٩ ، وقال : هو ثقة ولكنه قد يَهِمُ .

ويزيد النحوي هو يزيد بن ابى سعيد النحوي أبو الحسن مولى قريش ، ثقة كما في الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم ٩/ ٢٧٠ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١١/ ٣٣٢ .

فالأثر أقل درجاته أنه حسن إلى عكرمة والحسن البصري ، لا سيما والرواية الأخرى للبيهقي تشهد له ، وقد صححه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٤ .

قال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ :" وقد أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان[١] قال : أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصفار[٢] قال : حدثنا محمد بن الفضل بن جابر[٣] قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرَارَة الرَّقِّي[٤] قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي[٥] قال : حدثنا خُصَيْف[٦] عن

---

(١) هو علي بن أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرج بن سعيد ، أبو الحسن الأهوازي ، أجمعوا على توثيقه كما في تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٥ .

(٢) هو أحمد بن عبيد بن إسماعيل أبو الحسن البصري الصفار ، حافظ ثقة ، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٦٢ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٥٩ .

(٣) هو محمد بن الفضل بن جابر الثقفي البغدادي ، ثقة كما في تاريخ الإسلام للذهبي ٢١/ ٢٨٥ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٧١ .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقي أبوالحسن الكوفي ، ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٣٣٦ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ١٠٠ ، وقال ابن حجر في التقريب ص ١٠٨ : هو صدوق .

(٥) هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن القرشي البالسي ، ضعيف كما في كتاب (الضعفاء والمتروكون) لأحمد بن شعيب النسائي ص ٧٢ ، والجرح والتعديل ٥/ ٣٨٨ .

(٦) هو خُصَيْف بن عبدالرحمن الجزري أبوعون مولى لعثمان بن عفان أو لمعاوية بن أبي سفيان ، صدوق غير أنه ساء حفظه في آخر حياته . انظر ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٢٨ ، والتقريب ص ١٩٣ .

مجاهد[١] عن ابن عياس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : إِنَّ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مِنَ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... ، فذكر معنى هذا الحديث ، وذكر السور التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة . وهذا الحديث شاهد مع المرسل الصحيح الذي تقدم ذكره[٢]" :اهـ

الرواية الرابعة : ـ رواية جابر بن زيد .

أخرج أبوعمرو الداني[٣] بسنده عَن جَابر بن زيد[٤] قَالَ : أَنْزل على النَّبِي من الْقُرْآن أول مَا أنزل بِمَكَّة : (اقْرَأ باسم رَبك الَّذِي خلق) ، ثمَّ

---

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم . انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٩ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٤١١ .

(٢) دلائل النبوة للإمام البيهقي ٧/ ١٤٣ و ١٤٤ ، باب : ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة .

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان ، أبو عمرو الداني ، ويقال له ابن الصيرفي ، من موالي بني أمية : أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ، من أهل دانية بالأندلس ، دخل المشرق ، فحج وزار مصر، له أكثر من مائة تصنيف ، منها : التيسير في القراءات ، والبيان في عد آي القرآن ، توفي في بلده سنة أربع وأربعين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٧ ، والنهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٥٠٣ .

(٤) هو جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي ، من علماء التابعين وثقاتهم ، قال عنه ابن عباس : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً

(ن والقلم) ، ثمَّ (يَا أَيهَا المزمل) ، ثمَّ (يَا أَيهَا المدثر)، ثمَّ (**تبت يدا أبي لَهب**)، ثمَّ (إِذا الشَّمْس كورت) ،ثمَّ (سبح اسْم رَبك الْأَعْلَى)، ثمَّ (**وَاللَّيْل إِذا يغشى**)، ثمَّ **وَالْفَجْر** ، ثمَّ وَالضُّحَى ، ثمَّ (ألم نشرح) ، ثمَّ وَالْعصر، ثمَّ وَالْعَادِيات ، ثمَّ (إِنَّا أعطيناك الْكَوْثَر) ، ثمَّ (أَلْهَاكُم التكاثر) ، ثمَّ (أَرَأَيْت الَّذِي يكذب بِالدّينِ) ، ثمَّ (قل يَا أَيهَا الْكَافِرُونَ) ، ثمَّ (ألم تَرَ كَيفَ فعل رَبك) ، ثمَّ (**قل أعوذ بِرَبّ الفلق**) ، ثمَّ (**قل أعوذ بِرَبّ النَّاس**) ، ثمَّ (**قل هُوَ الله أحد**) ، ثمَّ (والنجم إِذا هوى) ، ثمَّ (عبس وَتَوَلَّى) ، ثمَّ (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**) ، ثمَّ (وَالشَّمْس وَضُحَاهَا) ، ثمَّ (وَالسَّمَاء ذَات البروج) ، ثمَّ والتين ، ثمَّ (لِإِيلَافِ قُرَيْش) ، ثمَّ القارعة، ثمَّ (لَا أقسم بِيَوْم الْقِيَامَة) ، ثمَّ (ويل لكل همزَة) ، ثمَّ (والمرسلات) ، ثمَّ (ق وَالْقُرْآن الْمجِيد) ، ثمَّ (لَا أقسم بِهَذَا الْبَلَد) ، ثمَّ (وَالسَّمَاء والطارق) ، ثمَّ (اقْتَرَبت السَّاعَة) ، ثمَّ (ص وَالْقُرْآن) ، ثمَّ الْأَعْرَاف ، ثمَّ الْجِنّ ، ثمَّ يس ، ثمَّ الْفرْقَان ، ثمَّ الْمَلَائِكَة ، ثمَّ مَرْيَم ، ثمَّ طه ، ثمَّ الْوَاقِعَة ، ثمَّ طسم الشُّعَرَاء ، ثمَّ طس النَّمْل ، ثمَّ طسم الْقَصَص ، ثمَّ بني إِسْرَائِيل ، ثمَّ التَّاسِعَة يَعْنِي يُونُس ، ثمَّ هود ، ثمَّ يُوسُف ، ثمَّ الْحجر ، ثمَّ الْأَنْعَام ، ثمَّ الصافات ، ثمَّ لُقْمَان ، ثمَّ سبأ ، ثمَّ الزمر، ثمَّ حم الْمُؤمن ، ثمَّ حم السَّجْدَة ، ثمَّ حم الزخرف ، ثمَّ حم الدُّخان ، ثمَّ

عما في كتاب الله ، مات سنة ثلاث وتسعين . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢٠٤ ، والجرح والتعديل ٢/ ٤٩٤ .

الجاثية ، ثمَّ الْأَحْقَاف ، ثمَّ والذاريات ، ثمَّ (هَل أَتَاك حَدِيث الغاشية) ، ثمَّ الْكَهْف ثمَّ حم عسق ، ثمَّ إِبْرَاهِيم ، ثمَّ الْأَنْبِيَاء ، ثـمَّ **النَّحْل** ، ثـمَّ تَنْزِيل السَّجْدَة ، ثمَّ (إِنَّا أرسلنَا) ، ثـمَّ وَالطور ، ثـمَّ الْمُؤْمِنُونَ ، ثـمَّ (تبَارك الَّذِي بِيَدِهِ الْملك) ، ثـمَّ الحاقة ، ثـمَّ (سَأَلَ سَائل) ، ثـمَّ (عَم يتساءلون) ، ثمَّ والنازعات ، ثمَّ (إِذا السَّمَاء انفطرت) ، ثمَّ (إِذا السَّمَاء انشقت) ، ثمَّ الرّوم ، ثمَّ العنكبوت ، ثمَّ (**ويل لِلْمُطَفِّفِينَ**) . فَذَلِك مَا أنزل عَلَيْهِ بِمَكَّة .

وَأنزل عَلَيْهِ بعد مَا قدم الْمَدِينَة : سُورَة الْبَقَرَة ، ثـمَّ آل عمرَان ، ثـمَّ الْأَنْفَال ، ثمَّ الْأَحْزَاب ، ثمَّ الْمَائِدَة ، ثمَّ الممتحنة ، ثـمَّ النِّسَاء ، ثـمَّ (**إِذا زلزلت**) ، ثمَّ الْحَدِيد ، ثمَّ سُورَة مُحَمَّد ، ثمَّ **الرَّعْد** ، ثمَّ **الرَّحْمَن** ، ثمَّ (**هَل أَتَى على الْإِنْسَان**) ، ثمَّ سُورَة النِّسَاء الْقصرى[1]، ثـمَّ (**لم يكن الَّذين كفرُوا**) ، ثمَّ الْحَشْر، ثمَّ (إِذا جَاءَ نصر الله وَالْفَتْح) ، ثمَّ النُّور، ثمَّ **الْحَج** ، ثمَّ الْمُنَافِقُونَ ، ثمَّ المجادلة ، ثمَّ الحجرات ، ثمَّ (يَا أَيهَا النَّبِي لم تحرم) ، ثمَّ الْجُمُعَة ، ثمَّ **التغابن** ، ثمَّ **سبح الحواريون** ، ثمَّ (إِنَّا فتحنا لَك فتحاً) ، ثمَّ التَّوْبَة[2].

---

(١) سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق .

(٢) أخرجه أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني في كتابه البيان في عد آي القرآن ص ١٣٥ ـ ١٣٧ ، بسنده إلى أحمد بن يزيد قال أنا أبو كامل فضيل بن حسين قال أنا حسان بن إبراهيم قال أنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد .

قلت : لم تذكر هذه الرواية سورة الفاتحة .

الرواية الخامسة : ـ رواية أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس .

أخرج الإمام أبو جعفر النحاس[1] في كتابه الناسخ والمنسوخ بسنده في صدر سورة الأنعام ، ثم أخرج بنفس السند في صدر كل سورة بعد سورة الأنعام عن ابن عباس مكانَ نزول السورة ، وقد جمعتُ ذلك كله في سياق واحد على النحو الآتي :

قال أبو عمرو بن العلاء[2]: سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي ، فقال : سألت ابن عباس عن ذلك فقال :" سُورَةُ

والسند موصول ، وكل رجاله ثقات إلا أحمد بن يزيد الحُلْواني المقريء صاحب قالون ، وهو ضعيف في الحديث كما في الجرح والتعديل ٢/ ٨٢ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ص ٦٢ .

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النحاس ، مفسر، أديب . مولده ووفاته بمصر، زار العراق واجتمع بعلمائها ، وصنف تفسير القرآن ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . انظر وفيات الأعيان ١/ ٩٩ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٣ .

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العُريان المازني النحوي ، اختلفوا في اسمه ، والأشهر أن اسمه زَبَّان ، هو أحد القراء السبعة ، ومُوَثَّق في الحديث ، ومن علماء العربية ، مات سنة سبع وخمسين ومائة . انظر الجرح والتعديل ١/ ١٤٢ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ص ٥٨ ، والتقريب ص ٦٦٠ .

الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ مَدَنِيَّةٌ : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ....[1]. ﴾ إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ، وَسُورَةُ الْأَعْرَافِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ، ونَزَلَتْ سُورَةُ يُونُسَ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ، ونَزَلَتْ سُورَةُ هُودٍ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، ونَزَلَتْ سُورَةُ يُوسُفَ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وسُورَةُ **الرَّعْدِ** نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وسُورَةُ إِبْرَاهِيمَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، ونَزَلَتْ سُورَةُ الْحِجْرِ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، ونَزَلَتْ سُورَةُ **النحل** بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، ونَزَلَتْ سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وسُورَةُ الْكَهْفِ ، وَمَرْيَمَ ، وَطهَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ، وَسُورَةُ **الْحَجِّ** نَزَلَتْ بِمَكَّةَ ، وَسُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَسُورَةُ النُّورِ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ، وَسُورَةُ الْفُرْقَانِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَسُورَةُ الشُّعَرَاءِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وسُورَةُ النَّمْلِ ، وَالْقَصَصِ ، وَالْعَنْكَبُوتِ ، وَالرُّومِ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ، وَسُورَةُ لُقْمَانَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَسُورَةُ الم السَّجْدَةِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَسُورَةُ الْأَحْزَابِ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ، وسُورَةُ سَبَأٍ ، وفَاطِرٍ، وَيس ، وَالصَّافَّاتِ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ، وسُورَةُ ص ، وَالزُّمَرِ نَزَلَتَا بِمَكَّةَ ، والْحَوَامِيمُ السَّبْعُ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ، وسُورَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَنِيَّةٌ ، وسُورَةُ

---

(١) سورة الأنعام (١٥١ ـ ١٥٣) .

الْفَتْحِ ، وَالْحُجُرَاتِ نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ ، وسُورَةُ ق ، وَالذَّارِيَاتِ ، وَالطُّورِ ، وَالنَّجْمِ ، وَالْقَمَرِ ، وَالرَّحْمَنِ ، وَالْوَاقِعَةِ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ،

وسُورَةُ الْحَدِيدِ ، وَالْمُجَادَلَةِ نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ ، وسُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ ، وسُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ ، وسُورَةَ الصَّفِّ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ ، وَسُورَةَ التَّغَابُنِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ ، وَسُورَةَ الطَّلَاقِ ، وَالتَّحْرِيمِ مَدَنِيَّتَانِ ، وسُورَةُ الْمُلْكِ ، ونُونَ ، وَالْحَاقَّةِ ، وسَأَلَ سَائِلٌ ، ونُوحٍ ، وَالْجِنِّ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ فَهُنَّ مِكِّيَّاتٌ ، وسُورَةُ الْمُزَّمِّلِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ فَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وسُورَةُ الْمُدَّثِّرِ إِلَى آخِرِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ نَزَلْنَ بِمَكَّةَ ، وسُورَةَ الْقَدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مَدَنِيَّتَانِ ، وَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا إِلَى آخِرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ إِلَى آخِرِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَدَنِيَّةٌ[1]»

---

(١) أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ص ٤١٥ إلى ص ٧٧٥ ، بسنده إلى يونس بن حبيب قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي ، فقال : سألت ابن عباس عن ذلك فقال.....إلى آخره .

وهو سند موصول ، كل رجاله ثقات إلا يونس بن حبيب أبا عبدالرحمن الضَّبِّي البصري النحوي ، ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٢٣٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وله ترجمة في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٤٠٦ دون جرح أو تعديل .

قال أبوجعفر النحاس :"وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّوَرِ فَهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ ، أَعْنِي : سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَآلَ عِمْرَانَ ، وَالنِّسَاءَ ، وَالْمَائِدَةَ . حَدَّثَنِي شَيْخِي بِذَلِكَ الْإِسْنَادِ بِعَيْنِهِ[1]":اهـ

قلت : لم تذكر هذه الرواية ـ أيضاً ـ سورة الفاتحة .

وهي الرواية الوحيدة التي ذكرت سورة الصف ، وسورة التغابن في السور المكية .

وهي الرواية الوحيدة التي ذكرت سورة المسد ، وسورة الفلق ، وسورة الناس في السور المدنية .

الرواية السادسة : ـ رواية علي بن أبي طلحة .

قال أبو عُبَيْد القاسم بن سلَّام[2] ـ رحمه الله ـ : حدثنا عبد الله بن

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤١٥ .

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي ، أبو عبيد ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، من أهل هراة بخراسان ، ولد وتعلم بها ، ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ، ورحل إلى مصر ، من كتبه الغريب المصنف في غريب الحديث ، وفضائل القرآن ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين . انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠١ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ص ١٠١ .

صالح[1] عن معاوية بن صالح[2] عن علي بن أبي طلحة[3] قال : نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَآلِ عِمْرَانَ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالْمَائِدَةِ ، وَالْأَنْفَالِ ، وَالتَّوْبَةِ ، وَالْحَجِّ ، وَالنُّورِ ، وَالْأَحْزَابِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا[4] ، وَالْفَتْحِ ، وَالْحَدِيدِ ، وَالْمُجَادَلَةِ ، وَالْحَشْرِ ، وَالْمُمْتَحَنَةِ ، وَالْحَوَارِيُّونَ يُرِيدُ الصَّفَّ ، وَالتَّغَابُنِ ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ، وَالْفَجْرِ ، وَاللَّيْلِ ، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ ، وَإِذَا زُلْزِلَتْ ، وَإِذَا جَاءَ

---

(١) هو عبدالله بن صالح أبو صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، صدوق كثير الغلط ، وكانت فيه غفلة . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٢١ ، والجرح والتعديل ٥/ ٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٥ .

(٢) هو معاوية بن صالح بن حدير ـ بالمهملة مصغر ـ الحضرمي أبو عمرو وأبو عبد الرحمن الحمصي قاضي الأندلس صدوق له أوهام ، مات سنة ثمان وخمسين . انظر تاريخ علماء الأندلس لعبدالله بن محمد بن الفرضي ٢/ ١٣٧ ، والتقريب ٥٣٨ .

(٣) هو علي بن أبي طلحة سالم بن مُخَارق ، مولى العباس بن عبدالمطلب ، أبو الحسن الهاشمي الجزري ، صدوق ، قال الذهبي : روى معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً . وأغلب مرويات علي بن أبي طلحة في التفسير عن ابن عباس ، إلا أنه لم يلقه ، لكنه حمل عن ثقات أصحابه مثل مجاهد وعكرمة. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٨١ ، وميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١٣٤ .

(٤) يعني سورة محمد .

نَصْرُ اللهَّ؛ وَسَائِرُ ذَلِكَ بِمَكَّةَ[١].

قال أبو عمرو الداني بعد أن أخرج هذا الأثر :"ولم يذكر علي بن أبي طلحة في المدني : الحجرات ، والجمعة ، والمنافقين ، وهن ثلاثتهن مدنيات بإجماع[٢]":اهـ

قلت : هذه هي الرواية الوحيدة التي ذكرت سورة الفجر، وسورة الليل في السور المدنية .

الرواية السابعة : ـ رواية مَعْمَر عن قتادة .

قال الحارث المحاسبي[٣]ـ رحمه الله ـ : حدثنا سُرَيْح[٤]قال حدثنا

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن ص ٣٦٥ ، ومن طريقه أبو عمرو الداني في كتابه البيان في عد آي القرآن ص ١٣٤ ، وسقط من إسناد أبي عمرو معاوية بن صالح .
قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذه الرواية :"هذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير":اهـ فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٩ .

(٢) البيان في عد آي القرآن ص ١٣٥ .

(٣) هو الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله من أكابر الزهاد ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مُبكياً ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين . من كتبه : فهم القرآن ومعانيه ، والمسائل في أعمال القلوب والجوارح . انظر وفيات الأعيان ٢/ ٥٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٨ .

(٤) هو سُرَيْح بن يونس بن إبراهيم أبو الحارث المروزي البغدادي أكان من الثقات الصالحين ، له مصنفات وتفسير. انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١ ، والتقريب ص ٢٢٩ .

سفيان[1] عن مَعْمَر[2] عن قتادة[3] قال : السُّور المدنية الْبَقَرَة ، وَآل عمرَان ، وَالنِّسَاء ، والمائدة ، والأنفال ، وَالتَّوْبَة ، **والرعد** ، وَالْحجر[4]، **والنحل** ،

---

(١) هو سفيان بن عُيَيْنَة أبو محمد مولى بني هلال ، الكوفي ، ثم المكي ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة . انظر، التاريخ الكبير ٤/ ٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤١٤ .

(٢) هو معمر بن راشد أبو عروة البصري ، كان فقيهاً متقناً حافظاً ورعاً . انظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٥٥ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٠٣ .

(٣) هو قَتَادَة بن دِعَامَة بن قتادة بن عُكَابَة السَّدُوسِي البصري ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين ، مات سنة بضع عشرة ومائة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩ .

(٤) هكذا ذكرت هذه الرواية سورة الحجر في السور المدنية ، ويغلب على ظني ـ والله أعلم ـ أن هذا تصحيف ، وأن الصواب : سورة الحشر. بدلاً من سورة الحجر ، ولكن الناسخ لما قرأها ـ خطأً ـ "الحجر" كتبها في الترتيب الخاص بها بين الرعد ، والنحل . ويدل على هذا قرينتان :

الأولى : أن سورة الحجر سورة مكية بلا خلاف ، كما في كل الروايات السابقة ، وكما في الروايتين الآتيتين عن قتادة .

الثانية : سورة الحشر سورة مدنية بلا خلاف ، كما في كل الروايات السابقة ، وكما في الروايتين الآتيتين عن قتادة ، ومن المستبعد أن يغيب عن قتادة ـ رحمه الله ـ أن سورة الحشر سورة مدنية ، وجلها نازل في شأن قتال بني النضير الذي كان في السنة الرابعة بعد الهجرة . انظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٣٥ ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص ٢٠٦ ، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

والنـور ، والأحـزاب ، وَسـورَة مُحَمَّـد ـ ﷺ ـ ، وَالْفَـتْح ، والحجـرات ، وَالْحَدِيد ، والمجادلـة ، والممتحنـة ، والـ صف ، وَالْجُمُعَـة ، والمنـافقون ، والتغابن ، وَالنِّسَاء الْقصرى ، وَيَا أَيهَا النَّبِي لم تحرم ، وَلم يكن ، وَإِذا جَاءَ نصر الله وَالْفَتْح ، وَقل هُوَ الله أحد ، وَهُوَ يشك فِي أَرَأَيْت[1].[2].

الرواية الثامنة : رواية همام عن قتادة .

ذكـر القرطبـي ـ رحمـه الله ـ في مقدمـة تفسـيره : أن أبـا بكـر بـن الأنباري[3] ـ رحمه الله ـ أخرج في كتابه الرد على من خالف مصحف

وبناء عليه لابد أن تُذْكَر سورة الحجر في السور المكية ، وتُذْكَر سورة الحشر ـ في السور المدنية .

(١) يعني : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ سورة الماعون . وقد جزمت الروايات السابقة والروايتان الآتيتان عن قتادة أن سورة الماعون سورة مكية .

(٢) أخرجه الحارث المحاسبي في كتابه فهم القرآن ومعانيه ص ٣٩٥ ، بسند صحيح إلى قتادة .

(٣) هو محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري ، كان من أفراد الدهر في سعة الحفظ مع الصدق والدين ، صنف في القراءات والغريب والمشكل والوقف والابتداء ، مات ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وله سبع وخمسون سنة . انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٤٢ ، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٢٣١ .

عثمان[1] بسنده من طريق همام[2] عن قتادة قال : نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةُ ، وَآلُ عِمْرَانَ ، وَالنِّسَاءُ ، وَالْمَائِدَةُ ، وَالْأَنْفَالُ ، وَبَرَاءَةٌ ، وَالرَّعْدُ ، وَالنَّحْلُ ، وَالْحَجُّ ، وَالنُّورُ ، وَالْأَحْزَابُ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَالْفَتْحُ ، وَالْحُجُرَاتُ ، وَالرَّحْمَنُ ، وَالْحَدِيدُ ، وَالْمُجَادَلَةُ ، وَالْحَشْرُ ، وَالْمُمْتَحِنَةُ ، وَالصَّفُّ ، وَالْجُمْعَةُ ، وَالْمُنَافِقُونُ ، والتغابن ، والطلاق ، وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ، وَإِذَا زُلْزِلَتْ ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ، هؤلاء السور نزلن بالمدينة ، وسائر القرآن بِمَكَّةَ[3].

قلت : لم تذكر هذه الرواية سورة البينة في السور المدنية ، وعليه فهي الرواية الوحيدة التي جعلت سورة البينة مكية .

الرواية التاسعة : ـ روية سعيد عن قتادة .

---

(١) كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان ذكره محمد بن إسحاق بن النديم في الفهرست ص ١٠٢ ، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، وإسماعيل بن محمد الباباني في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٣/ ٥٥٦ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

(٢) هو همام بن يحيى بن دينار الأزدي ، عالم بالحديث ، من أهل البصرة ، كان ثبتاً ثقة ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٢٣٧ ، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٣٣ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦١ ، وعزاه لأبي بكر بن الأنباري في كتابه الرد على من خالف مصحف عثمان ، وذكر سند ابن الأنباري ، وهو سند صحيح موصول إلى قتادة .

أخرج أبو عمرو الداني عن سعيد[١] عن قتادة قال : الْمدنِي : الْبَقَرَة ، وَآل عمرَان ، وَالنِّسَاء ، والمائدة ، والأنفال ، وَبَرَاءَة ، **والرعد** ، **وَالْحج** ، والنور ، والأحزاب ، والَّذين كفرُوا ، و إِنَّا فتحنا لَك فتحًا مُبينًا ، و يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا لَا تقدمُوا بَين يَدي الله وَرَسُوله ، والمسبحات من سُورَة الْحَدِيد إِلَى يَا أَيهَا النَّبِي إِذا طلّقْتُم النِّسَاء[٢] ، و يَا أَيهَا النَّبِي لم تحرم ، و **لم يكن الَّذين كفرُوا** ، و **إِذا زلزلت** ، و إِذا جَاءَ نصر الله ، مدنِي ، وَمَا بَقِي مكي[٣].

شواهد من هذه الروايات .

إن الناظر في هذه الروايات يستطيع أن يقيم منها شواهد بارزة تكون منارات هدى ترشده إلى ما عسى أن يكون هو الحق والصواب في بيان كثير من المسائل المتعلقة بعلم المكي والمدني ، ومن هذه الشواهد :

---

(١) هو سعيد بن أبي عَرُوبَة مِهْرَان اليشكري أبو النضر البصري ثقة حافظ له تصانيف ، كان من أثبت الناس في قتادة ، مات سنة ست وخمسين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٤١٣ ، والتقريب ص ٢٣٩ .

(٢) وهن : الحديد ، والمجادلة ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق .

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب البيان في عَدِّ آي القرآن ص ١٣٣ ، بسند صحيح إلى قتادة .

الشاهد الأول : ـ مع ملاحظة أن بعض السور سقطت من بعض الروايات ، فإن هذه الروايات التسع اتفقت في مجموعها على سبع وسبعين سورة أنها سور مكية ، وهذه السور المتفق على مكيتها هي :

الفاتحة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، وإبراهيم ، والحجر ، الإسراء ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والفرقان ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، وسبأ ، وفاطر ، ويس ، والصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وق ، والذاريات ، والطور ، والنجم ، والقمر ، والواقعة ، والملك ، والقلم ، والحاقة ، والمعارج ، ونوح ، والجن ، والمزمل ، والمدثر ، والقيامة ، والمرسلات ، والنبأ ، والنازعات ، وعبس ، والتكوير ، والانفطار ، والانشقاق ، والبروج ، والطارق ، والأعلى ، والغاشية ، والبلد ، والشمس ، والضحى ، والشرح ، والتين ، والعلق ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر ، والعصر ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والكافرون .

واتفقت هذه الروايات التسع في مجموعها على عشرين سورة أنها سور مدنية ، وهذه السور المتفق على مدنيتها هي :

البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ،

والحشر ، والممتحنة ، والجمعة ، والمنافقون ، والطلاق ، والتحريم ، والنصر.

واختلفت هذه الروايات التسع في سبع عشرة سورة وهي :

الرعد ، والنحل ، والحج ، والرحمن ، والصف ، والتغابن ، والإنسان ، والمطففين ، والفجر ، والليل ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس .

الشاهد الثاني : ـ بعض هذه الروايات صح سندها ، وبعضها ضَعُف سندها .

فما صح منها أو ضعف واتفق في الحكم على بعض السور أنها مكية ، أو مدنية فهو حجة في نفسه ، وثبت به أن هذه السور مكية ، أو مدنية ، إذ الصحيح حجة في نفسه ، والضعيف يشهد له الصحيح والضعيف الآخر .

وما ضعف منها ، فإن اتفق في بعض السور مع الروايات الصحيحة كان الصحيح شاهداً للضعيف .

وإن اختلفت الروايات الضعيفة مع الصحيحة فالحجة للصحيحة .

وإن اختلفت رواية صحيحة مع رواية صحيحة ، أو اختلفت رواية ضعيفة مع رواية ضعيفة في الحكم على مكية السورة أو مدنيتها بُحِث عن مرجح آخر.

الشاهد الثالث : قَدَّمْتُ الروايات الأربع الأولى في الذكر لأن فيها زيادة علم ، وهو ترتيب نزول السور ، وفي هذا تقوية لها ، إذ معرفة الراوي أن سورة كذا نزلت بعد سورة كذا وبعدها سورة كذا دليل على زيادة علم أقوى من مجرد الحكم على سورة بأنها مكية أو بأنها مدنية ، إذ قد يحكم هذا الحكم بالاجتهاد .

المبحث الثاني
ضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما

تقرر فيما سبق أن مرد العلم بالمكي والمدني إلى طريقين :

١ ـ سماعي : وهو النقل والرواية ، والروايات في هذا المجال لم ترد إلا عن الصحابة الذين شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زمانه ، أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله من الصحابة . أما رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يرد عنه شيء من هذا القبيل .

٢ ـ قياسي : وهو ضوابط كلية ، وخصائص عامة للسور والآيات المكية ، أو للسور والآيات المدنية .

فالاعتماد على الرواية الصحيحة لم يكن متنافياً مع إعمال الفكر والاجتهاد ، ولهذا فإن هناك علامات وضوابط ، وخصائص ومميزات يُعْرَف بها المكي والمدني .

ونعني بالضوابط أموراً تتعلق بالألفاظ والأسلوب .

ونعني بالخصائص والمميزات أموراً تتعلق بالمعاني والأغراض للسور المكية أو المدنية ، وهذه الضوابط والخصائص مبناها على التتبع والاستقراء للسور والآيات[1].

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ٢٢٦ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٩ ، ودراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ص ١٢٩ ، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ـ الثانية عشرة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

فقد استقرأ العلماء السور المكية ، والسور المدنية ، واستنبطوا ضوابط قياسية لكل من المكي والمدني ، واستنبطوا ـ كذلك ـ خصائص تميزت بها السور المكية ، وخصائص تميزت بها السور المدنية ، فإذا وُجِدَ في السورة خصائص المكي قالوا : إنها مكية ، وإذا وُجِدَ فيها خصائص المدني قالوا : إنها مدنية ، وهذا قياس اجتهادي[1].

وبعد هذا التتبع والاستقراء والاجتهاد خرج العلماء بضوابط ، وبخصائص مميزة للسور المكية وللسور المدنية .

ضوابط القرآن المكي :ـ

١ :ـ كل سورة فيها : (يا أيها الناس) وليس فيها : (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية[2].

وإنما وضعوا هذا القيد ، أعني قولهم : وليس فيها : (يا أيها الذين آمنوا) من أجل سورة الحج ففي آخرها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٩ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٠ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٨ ، والإتقان ١/ ٦٨ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٨ .

﴿وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[1] مع أن كثيراً من العلماء يرون أنها مكية[2].

٢ :ـ كل سورة فيها (كلا) فهي مكية ، ولم تأت (كلا) في نصف القرآن الأول ، وأتت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن[3].

وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جبابرة ، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم[4].

٣ :ـ كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة، وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع ، وفي الرعد خلاف[5].

٤ :ـ كل سورة فيها سجدة فهي مكية ، والخلاف مشهور في سورة الحج مع أن فيها سجدتين[6].

---

(١) سورة الحج (٧٧) .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٨ ، والإتقان ١/ ٦٨ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٢ .

(٣) انظر البرهان ١/ ١٨٨ ، والإتقان ١/ ٧٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٦ .

(٤) انظر الإتقان ١/ ٧٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٦ .

(٥) انظر البرهان ١/ ١٨٨ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٢ .

(٦) انظر الإتقان ١/ ٦٩ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨١ .

٥ : ـ قِصَر الآيات والسور ، وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي[١].

وقِصَر معظم آيات القرآن المكي وسوره ـ ولا سيما أوائل ما نزل ـ له فائدتان :

الفائدة الأولى : ـ وهي فائدة ترجع إلى كفار مكة ، وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة ، وتملكهم لناصية القول ، والخطابة ، والشعر وبلوغهم الغاية في لطف الحس ، وذكاء العقل ، والألمعية وسرعة الخاطر، فكان المناسب لهم النُذُر القارعة ، والعبارات الموجزة ، والفقرات القصيرة ذات اللفظ الجزل ، والجرس القوي ، والمعنى الفحل فتصخ الآذان وتستولي على المشاعر وتعقل ألسنتهم عن المعارضة وتَدَعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون ، فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها أن يلقي عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز فيقول : والله لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول بشر، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته[٢].

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٩ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٩ .

الفائدة الثانية : ـ وهي فائدة ترجع إلى المؤمنين الأوائل في مكة ، وذلك ليتمكن هؤلاء المؤمنون من حفظه بسهولة ويسر، فهم في أول عهدهم به لم تتعوَّد ألسنتهم على النطق به مرتلًا كما أمر الله ـ تعالى ـ أن يُتْلَى ، وفيهم الشيخ الكبير، والمرأة المسنة ، والطفل الصغير، وأكثرهم أُمِّيُّون ، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع ، وهم لم يتعودوا بعد على مثل ذلك ، فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آيتها ومقاطعها ليتمكنوا من حفظها وتلاوتها في يسر ونشاط[1].

٦ : ـ كثرة القَسَم جرياً على أساليب العرب[2].

قال مناع القطان وهو يبرز ضوابط الأسلوب للقرآن المكي :"قِصَر الفواصل مع قوة الألفاظ ، وإيجاز العبارة ، بما يصخ الآذان ، ويشتد قرعه على المسامع ، ويصعق القلوب ، ويؤكد المعنى بكثرة القَسَم ، كقصار المفصَّل إلا نادرًا[3]":اهـ

والحكمة في وجود هذه العلامات والضوابط في القرآن المكي ترجع إلى المقاصد الموضوعية التي نزل بها ، فالخطاب في مكة كان لأمور اعتقادية تشمل كل الناس ، وهي مناط إنسانيتهم ، فناسب خطابهم بـ :

---

(١) انظر دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٤٩ و ٥٠ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٣ .

(يا أيها الناس) ، كما أن محاورة أهل العناد تناسب حرف الردع (كلا) ، وكذلك التنويه بإعجاز القرآن لإفحام المنكرين ، والاستفتاح بحروف الهجاء في أوائل السور، وقد وُجِد من ذلك قليل في القرآن المدني تبعاً لاقتضاء القضايا المدنية التي كانت فترة بناء ، وكانت فترة مكة فترة تأسيس[1].

خصائص القرآن المكي : ـ

قد امتاز القرآن المكي غير ما تقدم من الضوابط بأمور كثرت فيه ، وسمات بارزة تميزه عن غيره ، وهذه المميزات ترجع إلى المعنى ، فهي أدل وأدق وأشمل من الضوابط لأن غالب الضوابط يرجع إلى اللفظ والشكل . ومن هذه الخصائص والميزات :

١ : ـ الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، وإثبات الرسالة ، وإثبات البعث والجزاء ، وذكر القيامة وهولها ، والنار وعذابها ، والجنة ونعيمها ، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية ، والآيات الكونية[2].

فغالب القرآن المكي أنه مقرر لثلاثة معان ، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله ـ تعالى ـ :

---

(١) انظر علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص ٥٩ و ٦٠ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٣ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٤٨ .

أحدها : تقرير الوحدانية لله الواحد الحق ، غير أنه يأتي على وجوه ؛ كنفي الشريك بإطلاق ، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة ، من كونه مقرباً إلى الله زلفى ، أو كونه ولداً أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة .

والثاني : تقرير النبوة للنبي محمد ـ ﷺ ـ وأنه رسول الله إليهم جميعاً ، صادق فيما جاء به من عند الله ؛ إلا أنه وارد على وجوه ـ أيضاً ـ ؛ كإثبات كونه رسولاً حقاً ، ونفي ما ادعوه عليه من أنه كاذب ، أو ساحر، أو مجنون ، أو يعلمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم .

والثالث : إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة ، والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به ؛ فرد بكل وجه يلزم الحجة ، ويبكت الخصم ، ويوضح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها ؛ فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب ، والأمثال والقصص ، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك[1].

وذلك لأن القوم كانوا منغمسين في الشرك والوثنية ، وكانوا لا يقرون بالنبوات ، ولا بالبعث وما بعده ، ويقولون : إن هي إلا حياتنا

---

(١) انظر الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي ٤/ ٢٧٠ ، ط دار ابن عفان ، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ، فكان اللائق بحالهم دعوتهم أولاً إلى الإيمان بهذه الأصول ، فإذا ما آمنوا بها خوطبوا بالفروع والتشريعات التفصيلية[1].

ولا يعني ذلك أن القرآن المدني يخلو من الحديث عن العقيدة ، وإنما تعني هذه الخاصية أن الحديث عن العقيدة في القرآن المكي أخذ مساحة أوسع بكثير مما أخذه في القرآن المدني ، ففي المكي كان للتأسيس ، وفي المدني كان للتذكير[2].

٢ : ـ الدعوة إلى أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، ولا سيما ما يتعلق منها بحفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب ، وذلك كالحث على الثبات على العقيدة والاستهانة بكل شيء في سبيلها والأمر بالصلاة والصدقة ، والصدق ، والعفاف وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والعفو، والعدل ، والإحسان والتواصي بالحق ، والخير، والصبر، والنهي عن القتل ، ووأد البنات ، والظلم، والزنا وأكل أموال الناس بالباطل[3].

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

(٢) انظر التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء ١/ ٧٩ ، ط دار المعارف ـ القاهرة ـ السابعة .

(٣) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٨ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٣ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٤٨ .

٣ : ـ ولتثبيت هذه الأصول والمعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعًا ، مؤمنين وكافرين ؛ عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة ، لما فيها من عظاتٍ وعِبَرٍ وتبيانٍ لسنة الله ـ تعالى ـ في هلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين ، ومن ثم فكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة[١].

أخرج أبوعبيد عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال :"مَا كَانَ مِنْ حَدٍّ أَوْ فَرِيضَةٍ ، فَإِنَّهُ أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ الْأُمَمِ وَالْعَذَابِ فَإِنَّهُ أُنْزِلَ بِمَكَّةَ"[٢].

فقد ذكر الله قصص الأنبياء والأمم السابقة لأهل مكة زجرًا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم ، وتسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم[٣].

ولقد كان إيراد القصص في القرآن المكي بكثرةٍ من أبلغ الأدلة على أن القرآن كان وحيًا من الله ـ تعالى ـ ، ولو تأخَّر إيراده إلى العهد المدني ،

---

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٢ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٤٨ .

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ ، وأبوبكر بن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ٦/ ١٤٠ ، برقم (٣٠١٤٠) ، ط مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٩هـ .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٣ .

لقال الكفار: تعلمه محمد ـ ﷺ ـ من أهل الكتاب أ ولكان لقولهم هذا مبرر على نحوٍ ما ؛ لأن أهل الكتاب كانوا على علمٍ ما بقصص الأنبياء ، وأخبار الأمم .

ولقد قال المشركون في مكة : إنما يعلمه بشر، وادعوا أنه يخلو إلى غلام رومي ، ويتلقى عنه هذا القرآن ، ولم يكن لقولهم هذا شاهد من العقل ، ولا من الواقع .

قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[1] .

فلو قالوا عن القرآن المدني : تعلَّمه محمد من اليهود حين جاورهم واتصل بهم ، قيل لهم : ومَن الذي علمه القرآن الذي نزل عليه بمكة ، متضمنًا من أخبار الأولين والآخرين ما لا يعلمه اليهود ولا غيرهم[2].

٤ : ـ كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة[3].

---

(١) سورة النحل (١٠٣) .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٩ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٤٩ .

(٣) انظر البرهان ١/ ١٨٨ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٧ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٢ .

قال مناع القطان ـ مجملاً الطابع العام للقرآن المكي ـ :"فحيث كان القوم في جاهلية تُعْمِى وتُصِم ، يعبدون الأوثان ، ويشركون بالله ، وينكرون الوحي، ويكذبون بيوم الدين، وكانوا يقولون : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]، وهم ألداء في الخصومة ، أهل مماراة ولجاجة في القول عن فصاحة وبيان ؛ حيث كان القوم كذلك نزل الوحي المكي قوارع زاجرة ، وشهبًا منذرة ، وحججًا قاطعة ، يحطم وثنيتهم في العقيدة ، ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والربوبية ، ويهتك أستار فسادهم ، ويسَفِّه أحلامهم ، ويقيم دلائل النبوة ، ويضرب الأمثلة للحياة الآخرة وما فيها من جنة ونار، ويتحداهم ـ على فصاحتهم ـ بأن يأتوا بمثل القرآن ، ويسوق إليهم قصص المكذبين الغابرين عبرة وذكرى ، فتجد في مكي القرآن ألفاظًا شديدة القرع على المسامع ، تقذف حروفها شرر الوعيد وألسنة العذاب ، فـ "كلا" الرادعة الزاجرة ، والصاخة والقارعة ، والغاشية والواقعة ، وألفاظ الهجاء في فواتح السور، وآيات التحدي في ثناياها ، ومصير الأمم السابقة ، وإقامة الأدلة الكونية ، والبراهين العقلية[2]":اهـ

---

(١) سورة الصافات (١٦) .

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٥٠ .

ضوابط القرآن المدني :-

١ :- طول المقاطع والآيات والسور في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها[١].

وهذا يصور الخطى الحكيمة المتدرجة التي كان يخطوها الإسلام في تشريعه : فخطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلاً لخطاب أهل مكة، لأن البيئة الجديدة في المدينة أصبحت تستدعي التفصيل في التشريع، وفي بناء المجتمع الجديد . فكان لا بد أن يطنب[٢] القرآن بعد الإيجاز، ويفصل بعد الإجمال ، ويراعي حال المخاطبين في كل آياته وسوره[٣].

أضف إلى ذلك أن أهل المدينة لم يكونوا في درجة أهل مكة في البلاغة والفصاحة ، ولا سيما اليهود الذين كانوا يساكنوهم في المدينة ، فكان الحال باعثاً على الإطالة ، والإطناب في مقام الإطناب لازم ، والإيجاز في مقام الإيجاز واجب ، ووضع أحدهما مكان الآخر ليس من البلاغة

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٤ .

(٢) الإطناب : أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة ، مأخوذ من : أطنب الرجل ، إذا بالغ في قوله بمدح أو ذم . انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٩ ، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٥٤ .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٤ .

في شيء ، وقد سلك القرآن كلتا الطريقتين مع كونه في أعلى درجات البلاغة والفصاحة[١].

٢ : ـ سهولة الألفاظ وخلوها من الغريب اللغوي في الغالب[٢].

٣ : ـ الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عند مناقشة أهل الكتاب ، والأسلوب التهكمي[٣]عند مجادلتهم وفضح نواياهم الخبيثة[٤].

خصائص القرآن المدني : ـ

١ : ـ ذكر الفرائض والتشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية[٥].

وأُذَكِّر هنا بما أخرجه أبوعبيد عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : مَا كَانَ مِنْ حَدٍّ أَوْ فَرِيضَةٍ ، فَإِنَّهُ أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ الْأُمَمِ وَالْعَذَابِ فَإِنَّهُ أُنْزِلَ بِمَكَّةَ[٦].

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٣٢ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ،

(٣) التَّهَكُّمُ : الاستهزاء . انظر العين ٣/ ٣٨٢ .

(٤) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٣١ ، ودراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ٥٠ .

(٥) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٨ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٤ .

(٦) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ ، وأبوبكر بن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ٦/ ١٤٠ ، برقم (٣٠١٤٠) .

وذلك لأن حياة المسلمين في المدينة بدأت في الاستقرار ، وأصبح لهم كيان ودولة وسلطان ، ومن شأن الجماعة التي لها رابطة تربطها أن تكون في مسيس الحاجة إلى تشريع يتكفل بما تحتاج إليه في دينها ودنياها ، و- أيضًا - فالتشريعات العملية مرتبطة بسلطان الحكم التنفيذي فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ ، فمن ثم جاءت التشريعات المدنية على ما ذكرنا[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"أما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله ؛ ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين: كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد وأحكام المناكح ونحوها ؛ وأحكام الأموال بالعدل كالبيع والإحسان كالصدقة والظلم كالربا وغير ذلك مما هو من تمام الدين[2]":اهـ

٢ :- بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد ، وحكمة تشريعه ، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات والصلح والغنائم والأسرى[3].

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٣٠ و ٢٣١ .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ١٥/ ١٦٠ .

(٣) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٨ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٤ .

٣ : ـ دعـوة أهـل الكتـاب إلى الإسـلام ، ومناقشـتهم في عقائـدهم الباطلة، وبيان ضلالهم فيها[١].

٤ : ـ بيان ضـلال المنـافقين ، وإظهـار مـا تكنـه نفوسـهم مـن الحقـد والعداوة على الإسلام والمسلمين[٢].

وكان طبيعياً أن يُذْكَر المنافقون في الآيات المدنية لأنهم كانوا يمثلون مشكلة للمسلمين ، ولم يكن النفاق من الظواهر المألوفة في فترة الدعوة بمكة ، لأن المسلمين كانوا قلة ، وكانوا ضعفاء بالقياس إلى المشركين ، فلم يكن مشركو مكة ينافقون المؤمنين ، لكن الحال تغير في المدينة ، فقد كان المسلمون هناك قوة غالبة ، ومن هنا لم يجرؤ كثير مـن الكفـار عـلى معارضتهم معارضة صريحة ، فلجئوا إلى النفاق[٣].

قال مناع القطان ـ مجملاً الطابع العام للقرآن المدني ـ :"وحين تكونت الجماعة المؤمنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وامتُحنت في عقيدتها بأذى المشركين فصبرت وهاجرت بدينها

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٤ .

(٢) انظر مناهل العرفان ١/ ١٩٨ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٨٣ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٦٤ .

(٣) انظر دراسات ومحاضرات في علوم القرآن لمحمد عبدالسلام كفافي ص ٥٥ ، ط دار النهضة العربية ـ بيروت ـ .

مؤثرة ما عند الله على متع الحياة ـ حين تكونت هذه الجماعة ـ نرى الآيات المدنية طويلة المقاطع ، تتناول أحكام الإسلام وحدوده ، وتدعو إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وتفصل أصول التشريع ، وتضع قواعد المجتمع ، وتحدد روابط الأسرة ، وصلات الأفراد ، وعلاقات الدول والأمم ، كما تفضح المنافقين وتكشف دخيلتهم ، وتجادل أهل الكتاب وتلجم أفواههم ـ وهذا هو الطابع العام للقرآن المدني ـ[1]":اهـ

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٥٠ .

المبحث الثالث

الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية

ظاهرة استثناء بعض آيات مدنية وُجِدَت في السور المكية ، واستثناء بعض آيات مكية وُجِدَت في السور المدنية ظاهرة حاول بعض العلماء تقريرها ، حتى اشتهرت وانتشرت تلك الاستثناءات في كتب التفسير وكتب علوم القرآن ، حتى رأيناها في كثير من المصاحف كعنوان لكل سورة .

قال البيهقي :"في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة ، فألحقت بها[1]":اهـ

وقال الزرقاني ـ رحمه الله ـ :"وصف السورة بأنها مكية أو مدنية يكون تبعاً لما يغلب فيها ، أو تبعاً لفاتحتها.....، ولعل الأنسب بالاصطلاح المشهور في معنى المكي والمدني أن يقال : إذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة كتبت مكية ، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة كتبت مدنية ، ثم يُذْكَر المستثنى من تلك السور ـ إن كان هناك استثناء ـ فيقال : سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية ، أو سورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية ، أو نحو ذلك كما تراه في كثير من المصاحف عنواناً للسورة[2]":اهـ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٤ ، وانظر الإتقان ١/ ٥٦ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٢٤ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٩٩ ، وانظر علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص ٥٧ .

وقال مناع القطان :"لا يُقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها بأجمعها كذلك ، فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية ، وفي المدنية بعض آيات مكية ، ولكنه وصف أغلبي حسب أكثر آياتها ، ولذا يأتي في التسمية : سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية ، وسورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية ، كما نجد ذلك في المصاحف[1]":اهـ

قلت : وقوع آية أو آيات مدنية في سور مكية يمكن أن يُقْبَل عقلاً ، إذ لا يبعد نزول السورة بمكة ثم تنزل آية آيات بالمدينة فيأمر النبي ـ ﷺ ـ بإلحاق تلك الآية أو الآيات المدنية بتلك السورة المكية لمناسبة بينهما .

أما أن تنزل آية أو آيات بمكة وتبقى هكذا فذة منفردة عن أية سورة حتى يهاجر النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة وينزل القرآن المدني فيلحق النبي هذه الآية أو الآيات المكية بسور مدنية فهذا شيء في غاية البعد .

وبعض العلماء حكم على هذه الصورة بالقلة والندرة .

قال ابن جُزَيّ[2] ـ رحمه الله ـ :"قد وقعت آيات مدنية في سور مكية ،

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٥٤ ، وانظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب العنزي ص ٦٧ ، ط مركز البحوث الإسلامية ـ ليدز بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، ابن جُزَيّ الكلبي ، من أهل غرناطة ، كان على طريقة مُثْلَى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد ، مشاركاً في فنون من عربية وفقه وأصول وأدب وحديث ، من كتبه : القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، والتسهيل لعلوم التنزيل . مات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

كـما وقعـت آيـات مكيـة في سـور مدنيـة ، وذلـك قليـل ، مختلـف في أكثره[١]":اهـ

وقال ابن حجر :"قد اعتنى بعض الأئمة ببيان مـا نـزل مـن الآيـات بالمدينة في السور المكية.....،، وأما عكس ذلـك وهـو نـزول شيء مـن سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً[٢]":اهـ

وهذا البحث كفيل ـ بفضل الله ـ بدراسة ذلك وتحقيقه والتدقيق فيه على وفق ضوابط البحث العلمي بعيداً عن كل ادعاء لا يؤيـده الـدليل الصحيح ، كما قال ابن كثير :"ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني ، والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح[٣]":اهـ

فالأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية ، ولا يُقْبَل القول بمدنية بعض آياتها إلا بدليل صحيح ، كما أن السورة المدنية يُحْكَم بـأن جميع آياتها مدنية ، إلا ما خرج بدليل صحيح .

لابن حجر ٥/ ٨٨ ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الهند ـ الثانية ١٩٧٢م ، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٨٥ .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ١/ ١٤ ، ط شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٤١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٨ ، وانظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٨ .

قال السيوطي :"قال ابن الحصار[١] : وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة ، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل[٢]":اهـ

ومن ثم فلا يُقْبَل استثناء آيات من سورها دون دليل صحيح يدل على ذلك الاستثناء ، لأن الاستثناء خلاف الأصل ، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال[٣].

---

(١) هو علي بن محمد بن الحصار الخزرجي ، له كتاب في الناسخ والمنسوخ ، نقل عنه السيوطي كثيراً في الإتقان ، توفي سنة إحدى عشرة وستمائة . انظر التكملة لوفيات النقلة لعبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ٤/ ١٢٢ ، ط مطبعة الآداب ـ النجف ـ ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

(٢) الإتقان ١/ ٣٨ ، وانظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ١٧٩ .

(٣) انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٧/ ٢٣٧ .

المبحث الرابع
هل تكرر نزول شيء من القرآن؟

جاءت بعض الروايات فدلت على نزول شيء من القرآن بسبب مُعَيَّن في وقت مُعَيَّن ، وجاءت روايات أخرى فدلت على نزول نفس الآيات أو نفس السورة بسبب آخر في وقت آخر ، وهذا جعل بعض العلماء يقرر أن من القرآن ما تكرر نزوله ، ومنه ما نزل مرة بمكة قبل الهجرة ثم نزل مرة أخرى بالمدينة بعد الهجرة .

لذا لابد من دراسة هذه المسألة : هل من القرآن ما تكرر نزوله؟ وهل من القرآن ما نزل مرة بمكة ومرة بالمدينة ؟ وللعلماء في هذا قولان:

القول الأول : ـ من القرآن ما تكرر نزوله فنزل مرتين ، ومنه ما نزل مرة بمكة ومرة بالمدينة ، وذلك أنه إذا جاءت روايتان أو روايات صريحة في سبب نزول نفس الآية أو نفس السورة أُخِذ بما صح منها ، فإن استووا في الصحة وتقارب الزمان في الأحداث التي كانت سبباً للنزول حُمِل على الجمع بين كل الروايات والأخذ بها جميعاً وأن الآية أو السورة نزلت لكل هذه الأسباب ، أما إذا تباعد الزمان وتعذر الجمع حُكِم بتكرر النزول[1].

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩ ، والإتقان ١/ ١٣٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١١٩ و ١٢٠ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥٠ ، وعلوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص ٥١ .

ولهم على قولهم أدلة :

الدليل الأول : ـ وجود أمثلة من القرآن تدل على هذا ، مثل سورة الفاتحة التي قيل : إنها نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة ، وسورة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ، فقد رُوِي أنها نزلت جواباً للمشركين بمكة ، ورُوِي أنها نزلت جواباً لأهل الكتاب بالمدينة ، فَحُمِل على تكرر النزول ، وخواتيم سورة النحل : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [1]، وقول الله ـ تعالى ـ في سورة هود : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [2]، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [3]، وأول سورة الروم : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [4] [1].

---

(١) سورة النحل (١٢٦ ـ ١٢٨) .

(٢) سورة هود (١١٤) .

(٣) سورة الإسراء (٨٥) .

(٤) سورة الروم (١ ـ ٥) .

وقد أجيب عن هذه الأمثلة بأنها مبنية على روايات ضعيفة لا يصح الاستدلال بها ، وهذا هو الأكثر والأغلب ، وما صح منها وأوهم تكرر النزول ـ وهو قليل جداً ـ يمكن الجمع بينها بقرائن تدل على عدم تكرر النزول ، أو يمكن الترجيح بين هذه الروايات ، فليس للقائلين بتكرر النزول مثال واحد صحيح يسلم عند البحث والمناظرة ، مع أن الأمثلة هي أقوى ما يُحتج به لقولهم[٢].

قلت : دراسة كل هذه الأمثلة والحكم عليها ـ كلٌّ على حده ـ أمر في غاية الطول لا يحتمله مثل هذا المقام ، ولكن محل دراستها في فصول ومباحث هذا البحث ، كلٌّ في مكانه ـ إن شاء الله ـ .

الدليل الثاني : ـ أن النزول يتكرر لإنزال بقية الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها ، فمن المعلوم أن القرآن أُنزِل على سبعة أحرف ، ويدل له ما أخرجه مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ : قَالَ لِي رُسَوْلَ الله ـ ﷺ ـ : "يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي

---

(١) انظر البرهان ١/ ٢٩ و ٣٠ ، والإتقان ١/ ١٣٠ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥١ .

(٢) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني ١/ ١٥٤ ، ط دار ابن الجوزي (الدمام ـ المملكة العربية السعودية) ، الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، والموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ص ٦٢ ، ط وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة ـ .

، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[1].

فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرة بعد أخرى[2].

وقد أجيب عن هذا من عدة أوجه :

الو جه الأول : ـ أن من لازم القول بهذا ارتباط الأحرف السبعة بأسباب النزول .

والواقع أن الأحرف السبعة غير مرتبطة بأسباب النزول ، فالغرض من تكرر النزول ـ على فرض وقوعه ـ معالجة ما يستدعي ذلك من القضايا الخاصة ، بينما الغرض الأهم من إنزال القرآن على سبعة أحرف التيسير والتسهيل على الأمة عامة في قراءة القرآن ، وفرق بَيِّن بين الأمرين[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٦١ ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، برقم (٨٢٠) ، وأحمد في المسند ٣٥/ ١٠٢ برقم (٢١١٧١) ، والبغوي في شرح السنة ٤/ ٥٠٣ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : قول النبي ـ ﷺ ـ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، برقم (١٢٢٧) .

(٢) انظر جمال القراء وكمال الإقراء ص ٨٧ ، والإتقان ١/ ١٣١ .

(٣) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٤٤ .

الوجه الثاني : ـ أن مقتضى استدلالهم بنزول الأحرف السبعة على تكرر النزول أن يكون لِمَا ذكروا من الأمثلة صلة بالأحرف ، وهذا ما لا يوجد ، حتى إنهم لما ذكروا التكرار لم يقولوا : إنها في النزول الأول كانت بحرف كذا ، وبالنزول الثاني كانت بحرف كذا ، بل غاية الأمر عندهم أنهم حكموا بتكرر النزول لما اشتبه عليهم المكي بالمدني[١].

والوجه الثالث : ـ أن الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن لو كان لها صلة بتكرر النزول لكانت الأدلة على تكرر النزول تربو عن المذكور بكثير، وهذا ليس بغريبٍ إذا علمنا أن الأحرف سبعة وأن عدد سور القرآن يبلغ مائة وأربع عشرة سورة ، فلماذا اقتصروا على بضعة أمثلة ، مع أن الأدلة والأمثلة هي مادة حياة القول وسبب بقائه[٢].

الدليل الثالث : ـ تكرار النزول له فائدة ، وهي تعظيم شأن المكرر ، والاهتمام بشأن الأمر الذي تكرر نزول الآية من أجله ، وتنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طي تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة والفوائد الجمة التي هم في أشد الحاجة إليها[٣].

وقد أجيب عن هذا بأن المُنَزَّل وما دل عليه من شرائع لا يفتقر للتكرار حتى يكون عظيمًا ، بل يكفيه تعظيماً وتشريفًا أنه كلام اللهَّ ـ عز وجل ـ[٤].

---

(١) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٤٤ .

(٢) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٤٤ .

(٣) انظر البرهان ١/ ٢٩ ، والإتقان ١/ ١٣٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٢١ .

(٤) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٤٥ .

قلت : لو كان تكرار النزول مرتبطاً بتعظيم السورة أو الآية لكانت أولى السور بتكرر النزول سورة الفاتحة ، وهي أعظم سور القرآن[1]، ولكانت أولى الآيات بتكرر النزول آية الكرسي ، وهي أعظم آيات القرآن[2]. وسورة الفاتحة لم يدل دليل صحيح صريح على تكرار نزولها ،

---

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَلَمْ أُجِبْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي ، فَقَالَ : "أَلَمْ يَقُلِ اللهَّ : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] . ثُمَّ قَالَ لِي : «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ» ؟ قَالَ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢.....﴾ [الفاتحة : ٢] «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»

أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٧ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ما جاء في فاتحة الكتاب ، برقم (٤٤٧٤) ، وأبو داود في سننه ٢/ ٥٨٧ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب ، برقم (١٤٥٨) ، وأحمد في المسند ٢٤/ ٥٠٥ برقم (١٥٧٣٠) .

(٢) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ : قُلْتُ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

وادعى تكرار نزولها قليل من أهل العلم[1]. وآية الكرسي لم يدل دليل صحيح صريح على تكرار نزولها ، ولم يَدِّعِه أحد .

الدليل الرابع : ـ تكرار النزول له فائدة ، وهي التذكير بالآية عند حدوث سببها خوفاً من نسيانها .

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» .

أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٦ ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي ، برقم (٨١٠) ، وأبوداود في سننه ٢/ ٥٨٨ ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في آية الكرسي ، برقم (١٤٦٠) ، وأحمد في المسند ٣٥/ ٢٠٠ ، برقم (٢١٢٧٨) .

وقوله : لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ . أي : ليكن العلم هنيئاً لك . انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي ٦/ ٩٣ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثانية ١٣٩٢هـ .

(١) حكى القول بتكرار نزول سورة الفاتحة ولم ينسبه إلى قائله الثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، وأبو المظفر منصور بن محمد السمعاني في كتابه تفسير القرآن ١/ ٣١ ، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ، والبغوي في معالم التنزيل ١/ ٧٠ ، والرازي في مفاتيح الغيب ١/ ١٦٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ١١٦ ، والآلوسي في روح المعاني ١/ ٣٥ ، والسخاوي في جمال القراء وكمال الإقراء ص ٨٧ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ١٣١ .

قال الزركشي ـ رحمه الله ـ :"قد ينزل الشيء مرتين ، تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه.....

والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية ـ وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ـ فَتُؤَدَّى تلك الآية بعينها إلى النبي ـ ﷺ ـ تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه[1]":اهـ

وقد أجيب عن هذا : بأن قول الزركشي :"قد ينزل الشيء مرتين ، تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه" لا يخلو من أمرين :

الأول : إن أراد أن النسيان واقع من رسول الله ـ ﷺ ـ فهذا غير مقبول ، لأن الله ـ تعالى ـ قال : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ [2]﴾ ، وقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ [3]﴾ ، ولن يصطفي الله لرسالته أحداً إلا إن كان مهيأ للرسالة ، صالحاً لها ، مع إمداده بما يكون به صلاح الدعوة، وقوة الحجة من الأسباب المادية الحسية والمعنوية ، ولرسولنا محمد ـ ﷺ ـ من الأسباب أسماها وأعلاها ، فلا يمكن بعد هذا أن يقال : إنه نسي الآية التي بين يديه .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩ ـ ٣١ ، وانظر الإتقان ١/ ١٣٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٢١ .

(٢) سورة الأنعام (١٢٤) .

(٣) سورة الحج (٧٥) .

الثاني : إن أراد أن النسيان واقع من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فرسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرهم يذكرهم بكتاب الله ، وحينئذٍ تنتفي الحاجة للتكرار[1].

القول الثاني : ـ إنه لم يتكرر نزول شيء من القرآن ، ولا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله ـ ﷺ ـ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيُقْرِئُه إياه[2].

---

(١) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٤٦ .

(٢) انظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان لطاهر الجزائري الدمشقي ص ٥٦ ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩١ ، ونفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد محمد معبد ص ٤٢ ، ط دار السلام ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

وانظر عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي المشهور بحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لأحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ١/ ٢٤ ، ط دار صادر ـ بيروت ـ ، وبيان المعاني وهو تفسير مرتب على حسب ترتيب النزول تأليف : السيد عبد القادر مُلَّا حويش آل غازي العاني ٢/ ٥٦١ ، ط مطبعة الترقي ـ دمشق ـ الأولى ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٥م .

ولهم على قولهم أدلة :

ا **لدليل الأول** : ـ أن تكرر النزول خلاف الأصل . كما قال ابن حجر:"الأصل عدم تكرر النزول[١]":اهـ

ومن خالف الأصل طولب بالدليل كما قال ابن كثير :"ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين ، مرة بالمدينة ومرة بمكة ، والله أعلم . ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني ، والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح ، فالله أعلم[٢]":اهـ

والأدلة التي استدل بها من جَوَّز تكرر النزول أدلة لم تقاوم المناقشة والرد ، وإذا انتفى دليل القول انتفى القول ضرورة[٣].

الدليل الثاني : ـ عدم وجود فائدة حقيقية من تكرار نزول شيء من القرآن ، لأن نزول القرآن معناه ظهوره من عالم الغيب إلى الشهادة ، والظهور به لا يقبل التكرر، بل هو تحصيل أمر حاصل موجود[٤].

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٠٨ ، وانظر الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم لأحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر ص ٦٢٥ ، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ : الأولى ١٤٣٠هـ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٨ ، وانظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٨ .

(٣) انظر بيان المعاني للسيد عبد القادر مُلَّا حويش آل غازي العاني ٢/ ٥٦١ ، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٥٤ .

(٤) انظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان ص ٥٦ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩١ ، ونفحات من علوم القرآن

الدليل الثالث : ـ أن القول بتكرار النزول يلزم منه ما لا يستطيع أحد القول به ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : ـ القول بتكرار النزول يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة تكرر نزوله بالمدينة مرة أخرى ، فإن جبريل كان يعارض النبي ـ ﷺ ـ القرآن كل عام مرة ، وعارضه القرآن في العام الذي مات فيه مرتين[1][2].

لمحمد أحمد محمد معبد ص ٤٢ ، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ١٥٤ .

وانظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١/ ٢٤ .

(١) عَنْ فَاطِمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي . أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٠٣ ، كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، برقم (٣٦٢٤) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٤ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي ـ عليها الصلاة والسلام ـ ، برقم (٢٤٥٠) ، وأحمد في المسند ٩/ ٤٤ برقم (٢٦٤١٣) .

قال ابن حجر في الفتح ٩/ ٤٣ :"المعارضة : مفاعلة من الجانبين ، كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع":اهـ

(٢) انظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان ص ٥٦ .

والوجه الثاني : ـ أن كل ما نزل مرتين لزم أن يثبت في القرآن مرتين ، كما هو الحال في الآيات والقصص المكررة[1].

قلت : بعد هذا العرض للقولين وأدلتهما أسأل الله أن يلهمني الصواب حينما أقول :

إذا جاءت روايتان أو روايات صريحة في سبب نزول نفس الآية أو نفس السورة أُخِذ بما صح منها ، فإن استووا في الصحة وتقارب الزمان في الأحداث التي كانت سبباً للنزول حُمِل على الجمع بين كل الروايات والأخذ بها جميعاً وأن الآية أو السورة نزلت لكل هذه الأسباب ، أما إذا تباعد الزمان وتعذر الجمع تعاملنا مع هذه الروايات على وفق أحد الوجوه الآتية :

الوجه الأول : ـ الترجيح بين الروايات ، كما قال مناع القطان ما خلاصته : ما يذكره علماء الفن في تعدد النزول وتكرره ، لا أرى لهذا الرأي وجهًا مستساغًا ، حيث لا تتضح الحكمة من تكرار النزول . وإنما أرى أن الروايات المتعددة في سبب النزول ولا يمكن الجمع بينها يتأتى فيها الترجيح .

فالروايات الواردة في الصحيحين ـ مثلاً ـ تُرَجَّح على غيرها ، وحسبك برواية الشيخين قوة . وكذلك يُنْظَر في سائر الروايات ، فإنها

---

(١) انظر بيان المعاني للسيد عبد القادر مُلَّا حويش آل غازي العاني ١/ ١١٤ .

ليست في درجة سواء . والأخذ بأرجحها أولى من القول بتعدد النزول وتكرره ، لأن فيه مقالاً ، وفي النفس منه شيء[١].

وذكر الدكتور : محمد بكر إسماعيل كلام مناع القطان ثم قال :"وهذا صحيح.....، فالجمع بين الروايات الصحيحة هو ما ينبغي المصير إليه متى أمكن ذلك ، بشرط أن تكون علة الجمع مقبولة عند أكثر العلماء .

فإن لم تكن هناك علة مقبولة تجمع بين الروايات الصحيحة ، فالترجيح أمر لا بُدَّ منه.....

والخلاصة أنه إذا تعدَّدَت الروايات في سبب نزول الآية أو الآيات ، وكانت كلها صحيحة صريحة في ذكر السبب ، أي : جاءت على الصيغة التي تعتبر نصًّا في السببية ، فإنه يُجْمَعُ بينها إن أمكن الجمع ، بأن تُحْمَلَ على تعدُّد الأسباب في النزول ما دامت هذه الأسباب متقاربة ، فإن لم يمكن الجمع بينها بحثنا عن مُرَجِّح لإحداها ، والمرجِّحات كثيرة يعرفها أهل الاجتهاد والنظر . ولا يُحْمَل تعددها على تعدد النزول على الراجح عندي[٢]":اهـ

الوجه الثاني : ـ قد يكون في إحدى الروايتين :"فقرأ رسول الله ـ ﷺ ـ كذا": فيغلط الراوي فيقول : فنزل كذا . فيظن أن ذلك سبب للنزول ،

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩١ .

(٢) دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص ١٦١ .

وليس كذلك ، فينبغي التنبه لذلك ، وتحرير لفظ الرواية ، وبذلك يسهل علينا الوصول إلى الحق والصواب في أسباب النزول[1].

ومثال ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : "مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ الله ـ ﷺ ـ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ السَّمَاءَ عَلَى هَذِهِ ـ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ ـ ، وَالْأَرْضَ عَلَى هَذِهِ ، وَالْمَاءَ عَلَى هَذِهِ ، وَالْجِبَالَ عَلَى هَذِهِ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى هَذِهِ؟ كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ"، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ[2]﴾[3].

وقد وهم الراوي في قوله : «فأنزل» . بدليل أن الحديث في الصحيحين وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ـ قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ : أَنَّ اللهَّ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ أَنَا

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥٢ .

(٢) سورة الزمر (٦٧) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٧١ ، كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ـ ﷺ ـ ، باب : ومن سورة الزمر ، برقم (٣٢٤٠) ، وأحمد في المسند ٤/ ١٢٥ ، برقم (٢٢٦٧) ، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٦٧ ، برقم (٤٦٨٩) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

المَلِكُ . فَضَحِكَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَـرَأَ رَسُـولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾(١)﴾(٢).

وهذا هو الصواب ، فالنبي ـ ﷺ ـ قرأ الآية لما سمع من اليهودي هذا الكلام ، ولم تنزل الآية لهذا السبب ، بدليل أن الآية من سورة الزمر المكية ، فهي مكية كسورتها ، ولم يدل دليل صحيح يقاوم المناقشة والرد على أنها نزلت بالمدينة(٣).

ومن أمثلته ـ أيضاً ـ : ما أخرجه البخاري وغيره عَنْ أَنَسٍ قَالَ : سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فَأَتَى النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟، وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟(٤)قَالَ :

---

(١) سورة الزمر (٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٢٦ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ ، برقم (٤٨١١) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ ، كتاب : صفة القيامة والجنة والنار، وهو بدون تبويب ، برقم (٢٧٨٦) ، وأحمد في المسند ٧/ ٣٧٧ ، برقم (٤٣٦٨) .

(٣) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥٢ .

(٤) قوله : وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ . يعني : كيف يشبه الولد أباه؟ وكيف يشبه أمه؟ انظر فتح الباري لابن حجر ٧/ ٢٥٢ .

«أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا» قَالَ : جِبْرِيلُ؟ قَالَ : «نَعَمْ»، قَالَ : ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ . فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ[1]﴾.....الحديث[2].

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث :"ظاهر السياق أن النبي - ﷺ - هو الذي قرأ الآية رداً لقول اليهود ، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ ، وهذا هو المعتمد ، فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام[3]":اهـ

وهكذا يتبين لنا أن «فتلا كذا» أو «فقرأ كذا» لا تدل على أن الآية نزلت حينئذ ، ويكون ذكرها عقب القصة إما للاستشهاد كما في المثال الأول ، أو للرد كما في المثال الثاني[4].

والوجه الثالث : - يمكن أن نجعل الخلاف بين القولين السابقين في تكرر نزول شيء من القرآن خلافاً لفظياً ، وذلك إذا بدلنا لفظ "التكرار" وقلنا : إن الآية تكون قد نزلت في زمن ماض ، ثم تحدث

---

(١) سورة البقرة (٩٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٩ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ ، برقم (٤٤٨٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٥٢٨ ، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٣٧٢ ، كتاب : الفضائل ، باب : الهجرة ، برقم (٣٧٦٩) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ١٦٦ .

(٤) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥٣ .

واقعة تشتمل الآية على حكمها ، فينزل جبريل فيقرأ الآية على النبي - ﷺ - ليعلم أن الآية تدل على حكم هذه الواقعة .

وقد عبر الزركشي بقريب من هذا التعبير حينما قال :"والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية - وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها - فَتُؤَدَّى تلك الآية بعينها إلى النبي - ﷺ - تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه[1]":اهـ

وقد ألمح شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا - أيضاً - حينما قال :"ما يُذْكَر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقاً ، والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب ، وإن كان الرسول يحفظها قبل ذلك[2]":اهـ

ثم وجدت كلاماً لصاحب كتاب السيرة الذهبية يدور في هذا الفلك حيث قال :"لم أجد أحداً من المتقدمين نَصَّ على تكرار نزول شيء من القرآن ، اللهم إلا نادراً ، ولا أرى أن يقال في شيء من القرآن تكرر نزوله ، لأنه إذا نزل وتُلِي فما معنى القول بالنزول مرة ثانية؟! حيث إنه إذا جاء جبريل بما تقدم نزوله فإنما هو التلاوة والتذكير وليس إنزالاً مرة ثانية ، وبحمد الله لا يوجد رواية صحيحة في أسباب النزول - على

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١ ، وانظر الإتقان ١/ ١٣٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٩١ .

الرغم من التتبع الشديد ـ تجعلنا نقول بتعدد النزول ، وما ورد مما يقال فيه ذلك ونظر فيه نظرة فاحصة بعد جمع الطرق والشواهد ظهر أن الخطأ فيه من بعض الرواة المتكلم في حفظهم[1]."اهـ

والخلاصة : أنه إذا تعدَّدَت الروايات في سبب نزول الآية أو السورة ، وكانت كلها صحيحة صريحة في ذكر السبب ، وذكرت تلك الروايات أحداثاً متباعدة في الزمان ، أو دلت على أنها نزلت في مكة ثم نزلت في المدينة ، فالقرائن المتعلقة بهذه الروايات هي التي تحدونا إلى أحد وجوه ثلاثة :

إما ترجيح بعض هذه الروايات على بعض .

وإما أن يكون في بعض طرق هذه الروايات : «فتلا كذا» أو «فقرأ كذا» فلا تكون الآية نزلت حينئذ ، ويكون ذكرها عقب القصة إما للاستشهاد أو للرد .

وإما أن تكون الآية قد نزلت في زمن ماض ، ثم تحدث واقعة تشتمل الآية على حكمها ، فينزل جبريل فيقرأ الآية على النبي ـ ﷺ ـ ليعلم أن الآية تدل على حكم هذه الواقعة .

أما القول بتكرار النزول مما ينتج عنه في بعض الصور أن تكون الآية أو السورة نزلت مرة بمكة ثم نزلت مرة أخرى بالمدينة فهو أمر لم يثبت وقوعه ، والله أعلم .

---

(١) صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية لمحمد رزق طرهوني ٢/ ٢٤ ، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٤هـ .

الباب الثاني
نزول السور والآيات
من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة

لنا في هذا الباب غرضان :

الغرض الأول : دراسة مكان وزمان نزول كل سورة ، لنتمكن بعد ذلك من وصفها بأنها مكية أو مدنية .

الغرض الثاني : إذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات ، لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟

ومنهجنا في هذا أن ننشيء لكل سورة فصلاً نجعله باسم السورة ، ثم نقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : في نزول السورة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من السورة .

ثم نبحث كل آية في مطلب مستقل .

الفصل الأول
سورة الفاتحة

على بركة الله ـ تعالى ـ نبدأ في دراسة نزول السورة الأولى من القرآن في ترتيب المصحف ، وهذا من خلال مبحث واحد :

المبحث الأول
نزول سورة الفاتحة

سورة الفاتحة من السور التي اختلف العلماء في مكان وزمان نزولها ، ونتج عن هذا الخلاف أربعة أقوال :

القول الأول : ـ ذهب جمهور العلماء إلى أن سورة الفاتحة سورة مكية نزلت قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، بل هي من أوائل ما نزل من القرآن[1].

والروايات التسع التي ذكرتها في مبحث "الروايات التي عددت

---

(١) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ١/ ٨٩ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي ١/ ٧٠ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٠هـ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٠١ ، وروح المعاني ١/ ٣٥ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٣٩ ، وجمال القراء ١/ ١١٨ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ ، والإتقان ١/ ٤٦ .

المكي والمدني"[1] سقطت سورة الفاتحة من ثلاث منها ، وجاء في رواية عطاء الخرساني عن ابن عباس ، وخُصَيْف عن مجاهد عن ابن عباس ، وعلي بن أبي طلحة ، وروايات معمر وهمام وسعيد ثلاثتهم عن قتادة أن سورة الفاتحة مكية .

وقد دل على هذا القول جملة أدلة :

الدليل الأول : ـ قول الله ـ تعالى ـ في سورة الحِجْر المكية : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾[2]﴾ .

وقد فسر النبي ـ ﷺ ـ السبع المثاني بالفاتحة :

ففي صحيح البخاري وغيره عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَلَمْ أُجِبْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي ، فَقَالَ :"أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ[3]﴾؟! ثُمَّ قَالَ لِي : «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، قُلْتُ لَهُ : «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ» ؟ قَالَ : ﴿ٱلْحَمْدُ

---

(١) انظر من ص ٢٣ إلى ص ٣٥ من هذا البحث .

(٢) سورة الحجر (٨٧) .

(٣) سورة الأنفال (٢٤) .

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾.....﴾« هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي ، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ[1]» .

وفي صحيح البخاري وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : «أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ[2]» .

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : «مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَ أُمِّ القُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ[3]»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٧ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ما جاء في فاتحة الكتاب ، برقم (٤٤٧٤) ، وأبو داود في سننه ٢/ ٥٨٧ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب ، برقم (١٤٥٨) ، وأحمد في المسند ٢٤/ ٥٠٥ برقم (١٥٧٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨١ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ ، برقم (٤٧٠٤) ، وأبو داود في سننه ٢/ ٥٨٦ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب، برقم (١٤٥٧)، وأحمد في المسند ١٥/ ٤٨٩ ، برقم (٩٧٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٢٩٧ ، كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ـ ﷺ ـ ، باب : ومن سورة الحجر ، برقم (٣١٢٥) ، وأحمد في المسند ٣٥/ ١٩ ، برقم (٢١٠٩٤) ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٦ ، برقم (٣٣٥١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . وصححه محمد

وسورة الحجر مكية بلا خلاف ، وقد امتن الله في آية من آياتها على النبي ـ ﷺ ـ بسورة الفاتحة ، ومعلوم أن الله ـ تعالى ـ لم يمتن عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة ، ثم أنزلها بالمدينة[1].

قال ابن حجر في شرح حديث أبي سعيد بن المعلى :"يُسْتَنْبَط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة أن الفاتحة مكية ، وهو قول الجمهور، ووجه الدلالة أنه ـ سبحانه ـ امتن على رسوله بها ، وسورة الحجر مكية اتفاقاً ، فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها[2]":اهـ

فإن قيل : يمكن أن يمتن الله ـ تعالى ـ بشيء قبل وقوعه ، كما في قوله في شأن نهر الكوثر الذي يعطيه الله للنبي ـ ﷺ ـ يوم القيامة : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١[3]﴾ .

قيل : القرائن هي التي تدل على الامتنان بالشيء قبل إيتائه ، وهو خلاف الأصل ، لكن الأصل هو وقوع الشيء قبل الامتنان به ، وقد انضم إلى هذا الأصل قرائن في آية الحجر، فالتعبير بالماضي ، مع إيراد

ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ٢/ ٩٧٤ ، برقم (٥٥٦٠) ، ط المكتب الإسلامي .

(١) انظر الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، ومعالم التنزيل ١/ ٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٠١ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٣ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ١٩٠ و ١٩١ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ١٥٩ .

(٣) سورة الكوثر (١) .

اللام التي للقسم ، وكلمة «قد» ، وورود الكلام في معرض المنة ، والأصل في هذا سبق الوقوع[1].

الدليل الثاني : ـ أخرج أبو نُعَيْم الأصبهاني[2] بسنده في دلائل النبوة عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلَمَةَ أَسْلَمَتِ امْرَأَةُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ[3] وَوَلَدُهُ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : لَا تَدْعِي أَحَدًا مِنْ عِيَالِكِ فِي أَهْلِكَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ . قَالَتْ : أَفْعَلُ وَلَكِنْ هَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ ابْنِكَ فُلَانٍ مَا رَوَى عَنْهُ؟ قَالَ : فَلَعَلَّهُ صَبَأَ قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ مَعَ الْقَوْمِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنَ كَلَامِ هَذَا

---

(١) انظر روح المعاني ١/ ٣٥ .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، حافظ ، مؤرخ ، من الثقات في الحفظ والرواية . ولد ومات في أصبهان . من تصانيفه : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ودلائل النبوة ، مات سنة ثلاثين وأربعمائة . انظر وفيات الأعيان ١/ ٩١ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٤٦٨ .

(٣) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ، صحابي من بني سلمة ، وهم حي من أحياء الأنصار بالمدينة ، كان في الجاهلية من ساداتهم وأشرافهم ، أسلم هو وأولاده قبل الهجرة ، استشهد بأُحُد في السنة الثالثة من الهجرة . انظر صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ١/ ٢٤٦ ، ط دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٥٠٦ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ.

الرَّجُلِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢.....﴾ . فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ ، وَكُلُّ كَلَامِهِ مِثْلُ هَذَا؟ فَقَالَ : يَا أَبَتَاهُ ، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا . فَهَلْ لَكَ أَنْ تُبَايِعَهُ؟ قَدْ صَنَعَ ذَلِكَ عَامَّةُ قَوْمِكَ[1].

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن ولد عمرو بن الجموح قد تعلم الفاتحة من النبي ـ ﷺ ـ قبل الهجرة وقرأها على أبيه قبل إسلامه ، والثابت أن عمرو بن الجموح أسلم قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ[2].

الدليل الثالث : ـ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ص ٣١١ ، برقم (٢٢٨) ، ط دار النفائس ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، وإسناده جيد كما قال محمد رزق طرهوني في كتابه صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية ٢/ ١٩ ، ط دار ابن تيمية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٤هـ .

(٢) انظر السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ١/ ٤٥٢ ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ، الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م ، والسيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير ٢/ ٢٠٧ ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ والتوزيع ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م ، وصحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية لمحمد رزق طرهوني ٢/ ١٩ .

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٨٩ ، ومن طريقه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢ ، وله شاهد عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ ، أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤٦ ، برقم (٢٠٥٣) ، ومن طريقه

الدليل الرابع : ـ ما قرره بعض العلماء من أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن[1]، واستندوا في تقرير ذلك على وجهين :

الوجه الأول : ـ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ[2] قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢..... ﴾ ، وَذَلِكَ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ : إِذَا خَلَوتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي . فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ :

البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٩ ، برقم (٢١٤٩) ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وانظر الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٦ .

(١) انظر الكشف والبيان للثعلبي ١/ ٨٩ ، والإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأَنْدَرَابِيّ دراسة وتحقيق ص ١٩٢ ، وهي أطروحة نالت بها الباحثة : منى عدنان غني درجة الدكتوراة في كلية التربية للبنات في جامعة تكريت ـ العراق ـ بإشراف الأُستاذ الدكتور : غانم قدُّوري حمد ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

(٢) هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني ثم الوادعي ، من أكابر التابعين وعلمائهم ، وكان سيداً صالحاً عابداً ، تُوُفِّي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٦٣ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٦٩٠.

يَـا مُحَمَّـدُ قُـلْ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢.....﴾ . حَتَّـى بَلَـغَ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.....[1].

قلت : الثابت أن صدر سورة العلق هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ١٥٨ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٨٩ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٢ ، ورجاله ثقات إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، لكنه مُرْسَل منقطع لأن عمرو بن شرحبيل تابعي لم يدرك عهد النبي ـ ﷺ ـ .

(٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» ، قَالَ : "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فَقَالَ : «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ

ولكن يكفي في حديث أبي ميسرة هذا أنه يدل على أن سورة الفاتحة من أول ما نزل من القرآن على رسول الله ـ ﷺ ـ .

وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ : «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا ، وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ .

أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧ ، كتاب : بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ ، برقم (٣) ، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩ ، كتاب : الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، برقم (٢٥٢) ، وأحمد في المسند ٤٢/ ١١٣ ، برقم (٢٥٢٠٢) .

وانظر شرح هذا الحديث وما فيه من فوائد في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١/ ٢٢ ـ ٢٨ .

قال البيهقي بعد أن أخرجه :"هذا منقطع ، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ....[1]﴾ ، و : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ [2]﴾[3]":اهـ

وقال ابن حجر في الفتح :"هو مُرْسَل ، وإن كان رجاله ثقات ، والمحفوظ أن أول ما نزل : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ....﴾ ، وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك[4]":اهـ

وقال في العُجَاب :"هو مُرْسَل ، ورجاله ثقات ، فإن ثبت حُمِل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء ، ولعله كان بعد فترة الوحي[5]":اهـ

وقال محمد رأفت سعيد :"لا يُفْهَم من قول الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ أنها السورة الثالثة ، ولكن يعني أن بداية التنزيل كان في الآيات الأولى من سورة : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ....﴾ ، وأن سورة الفاتحة لم تكن الأولى في

---

(١) سورة العلق (١) .
(٢) سورة المدثر (١) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١٥٩ .
(٤) فتح الباري ٨/ ١٧٩ .
(٥) العجاب في بيان الأسباب لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ١/ ٢٢٤ ، ط دار ابن الجوزي .

ترتيب النزول ، وإنما كانت بعد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ، وهذا هو الترتيب الراجح[1]":اهـ

ومن العلماء من قال : إن صدر سورة العلق هو أول ما نزل على الإطلاق ، وسورة الفاتحة أول سورة كاملة نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ[2].

الوجه الثاني : ـ رجح الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ، واستدل على ذلك بأن سنة الله في كونه أن يسبق الإجمالُ التفصيلَ ، وسورة الفاتحة قد تضمنت مقاصد القرآن الكريم إجمالاً، وذلك يقتضى ـ أن تَسْبِق في النزول . فالقرآن نزل لأمور :

أحدها : التوحيد لأن الناس كانوا وثنيين .

ثانيها : وعد من أخذ به وتبشيره بحسن المثوبة ، ووعيد من لم يأخذ به وإنذاره بسوء العقوبة .

ثالثها : العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس.

---

(١) تاريخ نزول القرآن لمحمد رأفت سعيد ص ١١٨ ، ط دار الوفاء (المنصورة ـ مصر) ، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

(٢) انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا ١/ ٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم المسمى بيان المعاني على حسب ترتيب النزول تأليف السيد عبد القادر ملّا حويش آل غازي العاني ١/ ١٠٤ .

رابعها : بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه الموصل إلى نعم الدنيا والآخرة.

خامسها : قصص من وقف عند حدود الله ـ تعالى ـ وأخذ بأحكام دينه، وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبذوا أحكام دينه .

هذه هي الأمور التي احتوى عليها القرآن ، وفيها حياة الناس وسعادتهم الدنيوية والأخروية ، والفاتحة مشتملة عليها إجمالاً :

فأما التوحيد ففي قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ، لأنه ناطق بأن كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له ـ تعالى ـ ولا يصح ذلك إلا إذا كان ـ سبحانه ـ مصدر كل نعمة في الكون تستوجب الحمد.

والتوحيد أهم ما جاء لأجله الدين، ولذلك لم يكتف في الفاتحة بمجرد الإشارة إليه بل استكمله بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فاجتث[1] بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الأمم.

وأما الوعد والوعيد : فالأول منهما مطوي في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ ، فذكر الرحمة في أول الكتاب ، وهي التي وسعت كل شيء .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يتضمن الوعد والوعيد معاً لأن معنى الدين : الخضوع . أي أن له ـ تعالى ـ في ذلك اليوم السلطان المطلق ، فالعالم كله يكون خاضعاً لعظمته ظاهراً وباطناً يرجو رحمته

---

(١) اجْتَثَّ : قطع الشيء من أصله ، وأزاله . انظر العين ٦/ ١٢ .

ويخشى عذابه ، وهذا يتضمن الوعد والوعيد . أو معنى الدين : الجزاء ، وهو إما ثواب للمحسن ، وإما عقاب للمسيء ، وذلك وعد ووعيد .

وأما العبادة فبعد أن ذُكِرَت في مقام التوحيد بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ أوضح معناها بعض الإيضاح في بيان الأمر الرابع الذي يشملها ويشمل أحكام المعاملات وسياسة الأمة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أي إنه قد وضع لنا صراطاً سيبينه ويحدده وتكون السعادة في الاستقامة عليه ، والشقاوة في الانحراف عنه .

وأما الأخبار والقصص ففي قوله ـ تعالى ـ : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ ، تصريح بأن هناك قوماً تقدموا وقد شرع الله شرائع لهدايتهم . وصائح يصيح : ألا فانظروا في الشئون العامة التي كانوا عليها واعتبروا بها .

فتبين من مجموع ما تقدم أن الفاتحة قد اشتملت إجمالاً على الأصول التي يفصلها القرآن تفصيلاً، فكان إنزالها أولاً موافقاً لسنة الله ـ تعالى ـ في الإبداع . وعلى هذا تكون الفاتحة جديرة بأن تسمى (أم الكتاب) ، كما نقول : إن النواة أم النخلة ، فإن النواة مشتملة على شجرة النخلة كلها حقيقة ، والأم تكون أولاً ويأتي بعدها الأولاد[1].

---

(١) انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا ١/ ٢٩ ـ ٣٢ ، باختصار .

وقد نقل هذا التوجيه عن الإمام محمد عبده تلميذه محمد رشيد رضا ، ثم قال :"إن نزول أول سورة العلق قبل الفاتحة لا ينافي هذه الحِكَم التي بينها ؛ لأنه تمهيد للوحي المجمل والمفصل ، خاص بحال النبي - ﷺ - ، وإعلام له بأنه يكون - وهو أمي - قارئاً بعناية الله - تعالى - ومخرجاً للأميين من أميتهم إلى العلم بالقلم ، ثم كانت الفاتحة أول سورة نزلت كاملة ، وأمر النبي بجعلها أول القرآن في المصحف ، وانعقد على ذلك الإجماع[1]":اهـ

الدليل الخامس : - مما هو معلوم بين المسلمين أن الله - تعالى - فرض الصلاة على النبي - ﷺ - وعلى المسلمين في مكة قبل الهجرة ، وما حُفِظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير قراءة فاتحة الكتاب فيها ، ولا يسعنا القول : بأن رسول الله - ﷺ - قام بمكة يصلي بلا فاتحة الكتاب . هذا مما لا تقبله العقول[2].

الدليل السادس : - القضايا التي تحدثت عنها سورة الفاتحة هي قضايا خصائص السور المكية ، حيث تحدثت السورة عن قضايا العقيدة من الإيمان بالله أسمائه وصفاته ، وإفراده بالعبادة والاستعانة ، والبعث والجزاء ، مع طلب الهداية منه - تعالى - إلى الصراط المستقيم وهو نظام

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١/ ٣٢ .

(٢) انظر الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، وتفسير المنار ١/ ٢٩ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٣ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٢٨ ، والإتقان ١/ ٤٦ .

الصلة بين المخلوق والخالق ، كما تضمنت الفاتحة كذلك الإشارة إلى الرد على كل طوائف المبطلين الخارجين عن الصراط المستقيم ، وبيان أسباب هذا الخروج[١].

القول الثاني : ـ أن سورة الفاتحة مدنية، نزلت بعد هجرة النبي ﷺ ـ[٢].

ودليلهم على هذا ما ثبت عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ إِبْلِيسَ رَنَّ[٣] حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَأُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ»[٤].

وقال مجاهد : «الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ»[٥].

---

(١) انظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم بن عمر البقاعي ١/ ٢٠٩ ، ط مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ، وتاريخ نزول القرآن ص ١١٨ .

(٢) انظر القول بمدنية سورة الفاتحة في الكشف والبيان للثعلبي ١/ ٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٠١ ، وروح المعاني ١/ ٣٥ . والبيان في عد آي القرآن ص ١٣٩ ، وجمال القراء ١/ ١١٧ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ ، والإتقان ١/ ٤٦ .

(٣) رَنَّ : صاح صياحاً حزيناً . انظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٨/ ٢٥٤ ، ولسان العرب ١٣/ ١٨٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٣٩ ، برقم (٣٠١٣٩) والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ١٠٠ ، برقم (٤٧٨٨) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣١١ :"رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح":اهـ

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٤٠ ، برقم (٣٠١٤٥) ، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، والأَنْدَرَابِيّ في الإيضاح في القراءات ص ١٩١ .

قلت : أما ما جاء عن أبي هريرة فيمكن أن يُنَاقَش من وجهين :

الوجه الأول : لم يستبعد بعض العلماء أن يكون كلام أبي هريرة قد انتهى عند قوله : إِنَّ إِبْلِيسَ رَنَّ حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ . وتكون الجملة الأخيرة : "وَأُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ" مدرجة[1] من كلام مجاهد .

قال السيوطي بعد أن ذكر أثر أبي هريرة :"ويُحْتَمَل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد[2]":اهـ

الوجه الثاني : لو سلمنا أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يذهب إلى أن سورة الفاتحة لم تنزل إلا بعد الهجرة فقوله ليس بحجة مع وجود من خالفه من الصحابة الأسبق إسلاماً منه كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ، فقد علموا أن سورة الفاتحة نزلت بمكة قبل الهجرة ، وهذا زيادة علم .

قال ابن تيمية :"وكذلك قول من قال : الفاتحة لم تنزل إلا بالمدينة غلط بلا ريب . ولو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك لكان من قال إنها مكية معه زيادة علم[3]":اهـ

---

(١) الحديث المُدْرَج هو : ما كان فيه زيادة ليست منه ، في الإسناد أو المتن . انظر الْفَصْل لِلْوَصْلِ الْمُدْرَجِ فِي النَّقْلِ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ١/ ٢٢ ، ط دار الهجرة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) الإتقان ١/ ٤٦ و ٤٧ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٩١ .

وأما ما جاء عن مجاهد فقد نقل غير واحد من العلماء قول الحسين بن الفضل[1] ـ رحمه الله ـ : لكل عالم هفوة ، وهذه منكرة من مجاهد ، لأنه تفرد بها ، والعلماء على خلافه[2].

تنبيه : هناك حديث لم أر من استدل به على مدنية الفاتحة ، لكن قد يُفْهَم منه أنها مدنية .

ففي صحيح مسلم وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ سَمِعَ نَقِيضًا[3]مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ :"هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ : أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ

---

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، مفسر معمر، كان رأساً في تفسير القرآن وما يتعلق به من علوم . أصله من الكوفة ، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبد الله بن طاهر في دار اشتراها له فأقام فيها يعلم الناس حتى مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٤٨ .

(٢) انظر الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، وروح المعاني ١/ ٣٥ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٢ ، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٥٩ ، والإتقان ١/ ٤٦ .

(٣) سمع نقيضاً : هو بالقاف والضاد المعجمتين ، أي : صوتاً كصوت الباب إذا فُتِح . انظر شرح النووي على مسلم ٦/ ٩١.

أُوتِيَتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ"[1].

فقد يُفْهَم من هذا الحديث أن سورة الفاتحة نزلت حينما نزلت خواتيم سورة البقرة ـ المدنية بلا خلاف ـ ، وأن جبريل لم ينزل بالفاتحة ونزل بها هذا المَلَك .

وقد أجاب القرطبي عن الإشكال فقال :"هذا الحديث يدل على أنها مدنية ، وأن جبريل لم ينزل بها ، وليس كذلك ، بل نزل بها جبريل ـ عليه السلام ـ بمكة لقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[2] ، وهذا يقتضي جميع القرآن ، فيكون جبريل ـ عليه السلام ـ نزل بتلاوتها بمكة ، ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة ، فتتفق الآثار[3]":اهـ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٤ ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل الفاتحة ، وخواتيم سورة البقرة ، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة ، برقم (٨٠٦) ، والنسائي في السنن الكبرى ١/ ٤٧٢ ، كتاب : المساجد ، باب : فضل فاتحة الكتاب ، برقم (٩٨٦) ، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٤٤٣ برقم (١٢٢٥٥) .

(٢) سورة الشعراء (١٩٢ ـ ١٩٤) .

(٣) التذكار في أفضل الأذكار لمحمد بن أحمد القرطبي ص ٢٢٩ ، ط مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١١٦ .

القول الثالث : ـ أن سورة الفاتحة مكية مدنية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة[1].

ولهم على هذا القول ثلاثة أدلة :

الدليل الأول : ـ نزل بها جبريل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلها رسول الله ـ ﷺ ـ تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها[2].

قال برهان الدين البِقَاعي[3] ـ مرجحاً لنزول الفاتحة مرتين ومستدلاً

---

(١) حكى هذا القول ولم ينسبه إلى قائله الثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، وأبو المظفر منصور بن محمد السمعاني في كتابه تفسير القرآن ١/ ٣١ ، والبغوي في معالم التنزيل ١/ ٧٠ ، والرازي في مفاتيح الغيب ١/ ١٦٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ١١٦ ، والآلوسي في روح المعاني ١/ ٣٥ ، والسخاوي في جمال القراء وكمال الإقراء ص ٨٧ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ١٣١ .

(٢) انظر الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، ومفاتيح الغيب ١/ ١٦٠ .

(٣) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء وتخفيف الباء ـ بن علي بن أبي بكر البقاعي ، مفسر ـ مؤرخ أديب . أصله من البِقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، وتوفي بدمشق سنة خمس وثمانين وثمانمائة ، من كتبه : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور . انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي ١/ ١٠١ ، ط دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ـ ، وطبقات المفسرين لأحمد بن

على ذلك ـ :"وعندي أنها نزلت مرتين ، في كل من البلدين مرة ، فإن ذلك لائق بجلالها وعظمتها ، ومناسب لتسميتها بالمثاني[١]":اهـ

قلت : قد سبق في مبحث "هل تكرر نزول شيء من القرآن؟" توهين ما قاله بعض العلماء من تكرار نزول بعض آيات وسور القرآن ، وتوهين أدلتهم ، التي منها أن من القرآن ما يتكرر نزوله تعظيماً لشأنه[٢].

الدليل الثاني : ـ أنها سُمِّيَت بالمثاني ، وذلك لأنها نزلت بمكة ، ثم ثُنِّيَت فنزلت بالمدينة[٣].

قلت : بل سُمِّيَت سورة الفاتحة بالمثاني لأسباب أخرى :

منها : أنها تُثَنَّى ـ أي تُكَرر ـ في كل صلاة من فرض وتطوع[٤].

محمد الأدنوي ص ٣٤٧ ، ط مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية ـ الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/ ١٦٠ .

(٢) انظر ص ٤٩ من هذا البحث .

(٣) انظر الكشف والبيان ١/ ٩٠ ، وتفسير القرآن للسمعاني ١/ ٣١ ، ومعالم التنزيل ١/ ٧٠ ، ومفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ١٥٩ ، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/ ١٦٠ ، وجمال القراء وكمال الإقراء ص٨٧.

(٤) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١/ ١٠٩ ، والنكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب ، الشهير بالماوردي ١/ ٤٦ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٤٩ ، وزاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢/ ٥٤٢ ، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ، ومفاتيح الغيب ١/ ١٥٨.

ومنها : أنها أُثني بها على الله ـ تعالى ـ ، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذِكر مملكته[1].

ومنها : أنها ثُنِّيَت أي : قُسِمَت بين الله ـ تعالى ـ وبين عبده[2]، فهي مَثْنَى : نصفها ثناء العبد للرب ، ونصفها عطاء الرب للعبد[3].

---

(١) انظر زاد المسير ٢/ ٥٤٢ ، ومفاتيح الغيب ١/ ١٥٨ .

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ يَقُولُ : "قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ ، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي – فَإِذَا قَالَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: هذا لعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" .

أخرجه مسلم في صحيحيه ١/ ٢٩٦ ، كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، برقم (٣٩٥) ، والترمذي في سننه ٥/ ٢٠١ ، كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ـ ﷺ ـ باب : ومن سورة فاتحة الكتاب ، برقم (٢٩٥٣) ، وأحمد في المسند ١٦/ ٢٥ ، برقم (٩٩٣٢) .

(٣) انظر زاد المسير ٢/ ٥٤٢ ، ومفاتيح الغيب ١/ ١٥٨ .

ومنها : أن الله ـ تعالى ـ استثناها لأمة محمد ـ ﷺ ـ فلم يعطها أمة قبلهم[1].

الدليل الثالث : ـ قال السيوطي :"ولعلهم يعنون بنزولها مرتين أن جبريل نزل حين حُوِّلت القبلة ، فأخبر الرسول أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة ، فظن ذلك نزولاً لها مرة أخرى[2]":اهـ

قلت : أصحاب هذا القول يقرون بنزول سورة الفاتحة بمكة ، وهذا يتفق مع القول الأول ، ويؤيده أدلته ، ثم هم يَدَّعون أنها نزلت مرة أخرى بالمدينة . والعلم بالمكي والمدني مبني على النقل الصحيح عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي ، أو عن من تلقى عنهم العلم وهم التابعون ، ولا مجال للقول فيه بالاحتمال والتخمين ، وما فسر به السيوطي هذا القول كلام يُسْتَدَل له لا يُسْتَدَل به .

وعلى وجه العموم فالقول بتكرار نزول سورة الفاتحة استبعده غير واحد من أهل العلم :

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي ١/ ٤٩ ، وزاد المسير ٢/ ٥٤١ ، ومفاتيح الغيب ١/ ١٥٨ .

وقد مر قريباً حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : «مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَ أُمِّ القُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . انظر ص ٦٣ من هذا البحث .

(٢) الإتقان ١/ ١٣١ ، وانظر روح المعاني ١/ ٣٥ .

قال السمعاني[١]:"قيل : نزلت ـ يعني الفاتحة ـ مرتين مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ؛ ولذلك سُمِّيَت مثاني ؛ لأنها ثنيت في التنزيل ، وهذه رواية غريبة[٢]":اهـ

وقال القرطبي :"قيل : إنها مكية مدنية ، نزل بها جبريل مرتين . وما ذكرناه ـ يعني أنها مكية ـ أولى ، فإنه جمع بين القرآن والسنة ، ولله الحمد والمنة[٣]":اهـ

وقال الطاهر بن عاشور :"قيل : سُمِّيَت المثاني لأنها ثُنِّيَت في النزول ، فنزلت بمكة ، ثم نزلت في المدينة . وهذا قول بعيد جداً ، وتكرر النزول لا يعتبر قائله ، وقد اتُّفِق على أنها مكية ، فأي معنى لإعادة نزولها بالمدينة؟![٤]":اهـ

---

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، أبو المظفر : مفسر، من العلماء بالحديث . من أهل مرو مولداً ووفاة ، كان مفتي خراسان ، من كتبه (تفسير السمعاني واسمه (تفسير القرآن) ، والانتصار لأصحاب الحديث ، والقواطع ـ في أصول الفقه ـ تُوُفِّي سنة تسع وثمانين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٥ ، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٣٩ .

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ١/ ٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١١٦ .

(٤) التحرير والتنوير ١/ ١٣٥ .

:"ولو أنها نزلت مرتين لأُثْبِتَت بالقرآن مرتين كما هو الحال في الآيات والقصص المكررة ، وهذا كاف للرد على من يقول بنزولها مرتين، فتدبر[١]":

القول الرابع : ـ أن سورة الفاتحة نصفها نزل بمكة ونصفها نزل بالمدينة[٢].

قال السيوطي :"تقدم قول أن نصفها نزل بالمدينة ، والظاهر أنه النصف الثاني ، ولا دليل لهذا القول[٣]":اهـ

الترجيح : ـ بعد هذا العرض للأقوال وأدلتها ، ومناقشة ما استحق المناقشة منها تبين أن الراجح أن سورة الفاتحة نزلت كلها في مكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، فأدلة هذا القول قوية متساندة يأخذ بعضها بحُجَز بعض :

---

(١) تفسير بيان المعاني المرتب على حسب ترتيب النزول للسيد عبدالقادر ملّا حويش آل غازي العاني ١/ ١١٤ .

(٢) حكى هذا القول ولم ينسبه لأحد أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي في بحر العلوم ١/ ١٥ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ، وانظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١/ ١٦١ ، والإتقان ١/ ٤٧ .

وذكر هذا القول واستغربه جداً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٠١ ، والآلوسي في روح المعاني ١/ ٣٥ .

(٣) الإتقان ١/ ٥٦ .

فقد امتن الله على نبيه بسورة الفاتحة في آية مكية هي قوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾، وقد فسر النبي ـ ﷺ ـ السبع المثاني بالفاتحة ، وكفى بتفسير رسول الله تفسيراً .

وثبت أن ولد عمرو بن الجموح قد تعلم الفاتحة قبل الهجرة ، وقرأها على أبيه قبل إسلامه ، والثابت أن عمرو بن الجموح أسلم قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ .

وشهد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنها نزلت بمكة .

ودل حديث أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل على أنها من أوائل ما نزل من القرآن بمكة ، فهي أول سورة كاملة نزلت بعد صدر سورة العلق ، وصدر سورة المدثر ، بعد أن انقطع الوحي فترة عن رسول الله ـ ﷺ ـ .

وقد فرض الله الصلاة في مكة قبل الهجرة ، ولا يسعنا القول : بأن رسول الله ـ ﷺ ـ قام بمكة يصلي بلا فاتحة الكتاب .

ثم إن القضايا التي تحدثت عنها سورة الفاتحة هي قضايا خصائص السور المكية .

أما الأقوال الأخرى فأدلتها لم تسلم من المناقشة والرد . والله أعلم .

الفصل الثاني

سورة البقرة

أدرس سورة البقرة من خلال مبحثين :

المبحث الأول : نزول سورة البقرة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة البقرة .

المبحث الأول

نزول سورة البقرة

سورة البقرة سورة مدنية ، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الهجرة ، بل هي أول ما نزل عليه ـ ﷺ ـ في المدينة[1].

والروايات التسع التي ذكرتها في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على مدنية سورة البقرة[2].

وصرحت رواية عطاء الخرساني عن ابن عباس[3]، ورواية جابر بن زيد[4] أن سورة البقرة هي أول ما نزل على النبي ـ ﷺ ـ بالمدينة .

---

(١) انظر الكشف والبيان للثعلبي ١/ ١٢٥ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ١/ ٧٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٨٠ ، وزاد المسير ١/ ٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٢ ، وروح المعاني ١/ ١٠١ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٤٠ ، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٦٠ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/ ١٩٣ .

(٢) انظر من ص ٢٤ إلى ص ٣٥ من هذا البحث .

(٣) انظر ص ٢٤ و ٢٥ من هذا البحث .

(٤) انظر ص ٣٠ من هذا البحث .

وقال عكرمة ـ رحمه الله ـ : أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ[١].

ويمكن أن نستدل على مدنية سورة البقرة بأربعة أدلة :

الدليل الأول : ـ أخرج البخاري وغيره عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ :"مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ ـ ﷺ ـ"[٢].

ومن المعلوم أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تُزَف إلى النبي ـ ﷺ ـ إلا في السنة الأولى بعد الهجرة[٣].

قال ابن حجر في الفتح :"أشارت بقولها : "وأنا عنده" أي : بالمدينة، لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقاً[٤]":اهـ

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ١/ ١٣٥ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨٥ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، برقم (٤٩٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى ٧/ ٢٤٦ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزل القرآن ، برقم (٧٩٣٣) ، وعبدالرزاق الصنعاني في مصنفه ٣/ ٣٥٢ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : إذا سمعت السجدة وأنت تصلي ، وفي كم يقرأ القرآن ، برقم (٥٩٤٣) .

(٣) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان ١/ ٤٥٠ ، ط الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٧هـ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ٤/ ١٨٨١ ، ط دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

(٤) فتح الباري ٩/ ٤٠ .

الدليل الثاني : ـ ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة البقرة واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[1].

الدليل الثالث : ـ إجماع العلماء على أن سورة البقرة مدنية نزلت بعد الهجرة ، ولم يخالف في هذا أحد[2].

الدليل الرابع : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة البقرة هي قضايا خصائص السور المدنية ، فهي تُعْنَى ـ كغيرها من السور المدنية ـ بالتشريع المنظم لحياة المسلمين في المجتمع الجديد بالمدينة ، مجتمع الدين والدولة معاً ، لذا كان التشريع المدني قائماً على تأصيل العقيدة الإسلامية، ومبدؤها الإيمان باللهّ ، وبالغيب ، وبأن مصدر القرآن هو اللهّ ـ عز وجل ـ والاعتقاد الجازم بما أنزل اللهّ على رسوله وعلى الأنبياء

---

(١) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة البقرة في أسباب النزول للواحدي ص ٢٤ ـ ٩٨ ، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٢٦ ـ ٦٥٦ ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي ص ١٧ ـ ٤٣ .

(٢) انظر نَقْلَ هذا الإجماع في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٥٥ ، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ١/ ٢٤١ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨ هـ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٤ ، والإيضاح في القراءات للأندرابي ص ٢٠٠ ، ومصاعد النظر ٢/ ٥ ، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٦٠ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/ ١٩٣ .

السابقين ، وبأن العمل الصالح ترجمان ذلك الإيمان ، ويتمثل العمل بعقد صلة الإنسان مع ربه بواسطة الصلاة ، وبتحقيق أصول التكافل الاجتماعي بواسطة الإنفاق في سبيل اللهّ .

ويقتضي تقرير العقيدة التحدث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين ، لعقد مقارنة بين أهل النجاة وبين أهل الدمار والهلاك . كما يقتضي التحدث عن قدرة اللهّ ـ عز وجل ـ ببدء الخليقة وتكريم آدم أبي البشر بسجود الملائكة له ، وترتيب المولى ما حدث معه وزوجه في الجنة ، ثم الهبوط إلى الأرض .

واستوجب التحذير الإلهي للمؤمنين التحدث في هذه السورة بما يزيد عن ثلثها عن جرائم بني إسرائيل ، فهم كفروا بنعمة اللهّ ، ولم يُقَدِّروا نجاتهم من فرعون ، وعبدوا العجل ، وطالبوا موسى ـ ﷺ ـ بطلبات على سبيل العناد والمكابرة والتحدي ، وبالرغم من تحقيق مطالبهم المادية كفروا بآيات اللهّ ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ، ونقضوا العهود والمواثيق ، فاستحقوا إنزال اللعنة وغضب اللهّ عليهم ، وجعلهم اللهّ أذلاء منبوذين مطرودين من رحمته .

ثم انتقلت السورة من خطاب أهل الكتاب إلى خطاب أهل القرآن ، بالتذكير بما هو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد ـ ﷺ ـ من نسب إبراهيم والاتفاق على فضله ، واستئصال كل مزاعم الخلاف على القبلة ، وبيان الأساس الأعظم للدين وهو توحيد الألوهية ، بتخصيص

الخالق بالعبودية ، وشكر الإله على ما أنعم به من إباحة الاستمتاع بطيبات الرزق وإباحة المحرّمات حال الضرورة، وبيان أصول البر.

ثم أوضحت السورة أصول التشريع الإسلامي للمؤمنين به ، في نطاق العبادات والمعاملات ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد في سبيل اللهّ وتنظيم أحكام القتال ، واعتماد الأشهر القمرية في التوقيت الديني ، والإنفاق في سبيل اللهّ ، لأنه وسيلة للوقاية من الهلاك ، والوصية للوالدين والأقربين ، وبيان مستحقي النفقات ، ومعاملة اليتامى ومخالطتهم في المعيشة ، وتنظيم شؤون الأسرة في الزواج والطلاق والرضاع والعدة ، وعدم المؤاخذة بيمين اللغو، وتحريم السحر، والقتل بغير حق وإيجاب القصاص في القتلى ، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الخمر والميسر والربا ، وإتيان النساء في المحيض وفي غير مكان الحرث وإنجاب النسل ، أي في الدبر.

وتضمنت هذه السورة أطول آية في القرآن هي آية الدَّين ، التي أبانت أحكام الدَّين من كتابة وإشهاد وشهادة وحكم النساء والرجال فيها ، ووجوب أداء الأمانة ، وتحريم كتمان الشهادة .

وخُتِمَت السورة بالتذكير بالتوبة والإنابة إلى اللهّ ، وبالدعاء العظيم المشتمل على طلب اليسر والسماحة ، ورفع الحرج والأغلال والآصار، وطلب النصرة على الكفار[1].

---

(١) انظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٩ ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي ١/ ٦٨، ط دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ الثانية ١٤١٨هـ .

وما قرره غير واحد من أهل العلم من أن سورة البقرة هي أول ما نزل بالمدينة لا يعني أنها نزلت كاملة وجملة واحدة في بداية العهد المدني ، بل يعني أن ابتداء نزولها كان في بداية العهد المدني ، ثم نزل بقيتها في مُدَد شتى ، حيث إن المعول عليه في ترتيب السور من حيث النزول هو سبق نزول أوائلها لا جميعها[1].

فآيات سورة البقرة لم تنزل متوالية ، فمراجعة أسباب نزول بعض آياتها ، واشتمال السورة على أحكام الحج والعمرة ، وعلى أحكام القتال من المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام ينبىء بأنها استمر نزولها سنين طويلة[2].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ١/ ٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٢ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ١/ ١٧٤ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨ هـ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١/ ٣٢ ، ط دار ابن كثير ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٤ هـ ، ومصاعد النظر للبقاعي ٢/ ٥ .

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٧ ، ط دار الشروق ـ بيروت ، القاهرة ـ السابعة عشر ١٤١٢ هـ ، والتحرير والتنوير ١/ ٢٠١ ، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٦/ ١٢٣ ، ط دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ .

وفيها آخر ما نزل على رسول الله ـ ﷺ ـ من القرآن وهي آية الربا وما عُطِف عليها من تحذير، أعني قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾(١)﴾.

يدل على هذا ما صح عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ آيَةُ الرِّبَا، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قُبِضَ وَلَمْ يُفَسِّرْهَا لَنَا، فَدَعُوا الرِّبَا وَالرِّيبَةَ(٢)(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ آيَةُ الرِّبَا(٤)».

---

(١) سورة البقرة (٢٧٨ ـ ٢٨١).

(٢) المراد أن آية الربا ثابتة غير منسوخة، صريحة غير مشتبهة، فلذلك لم يفسرها النبي ـ ﷺ ـ أي تفسيراً جامعاً لتمام الجزئيات مغنياً عن مؤنة القياس لجلائها ووضوح معناها، ولا بد في باب الربا من الاحتياط، فدعوا الشك وما فيه اشتباه تورعاً في هذا الباب. انظر كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة لنور الدين محمد بن عبدالهادي السندي ٢/ ٣٩، ط دار الجيل ـ بيروت ـ.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ٣/ ٣٨٠، كتاب: التجارات، باب: التغليظ في الربا، برقم (٢٢٧٦)، وأحمد في المسند ١/ ٣٦١، برقم (٢٤٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ٤/ ٤٤٨، برقم (٢٢٠٠٩). وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج أحاديث سنن ابن ماجة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، برقم (٤٥٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى

وصح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ أيضاً ـ أنه قَالَ : "آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[1].

ولا يوجد تناقض بين قولي ابن عباس ، وطريق الجمع بين هذين القولين أن آية : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ هي ختام الآيات المنزلة في الربا ، إذ هي معطوفة عليهن ، فالسياق كله هو آخر ما نزل من القرآن .

وقد أشار إلى هذا البخاري ـ رحمه الله ـ حيث تَرْجَم في كتاب التفسير من صحيحه فقال : باب : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ثم روى فيه قول ابن عباس : «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ آيَةُ الرِّبَا . ليجمع بين قولي ابن عباس في المسألة[2].

٥/ ٤٥٢ ، كتاب : جماع أبواب الربا ، باب : ما جاء من التشديد في تحريم الربا ، برقم (١٠٤٧١) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٣٧١ ، برقم (١٢٠٤٠) ، وفي المعجم الكبير ـ أيضاً ـ ١٢/ ٢٣ ، برقم (١٢٣٥٧) ، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦/ ٤٠ ، وابن المنذر في تفسيره ١/ ٦٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٤ :"رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات:"اهـ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٨/ ٢٠٥ . وانظر تفصيل القول في مسألة آخر ما نزل من القرآن في البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٠٩ ، والإتقان ١/ ١٠١ ، ومناهل العرفان ١/ ٩٦ .

خلاصة القول أن سورة البقـرة :"مدنيـة بإجمـاع الآراء ، وقـد ابتـدأ نزولها بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، وقد نزل معظمها في السنوات الأولى من الهجرة ، واستمر نزولها إلى قبيل وفاة النبي ـ ﷺ ـ بفترة قليلة[1]":

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ١/ ٢٧ ، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الأولى ١٩٩٧م .

المبحث الثاني
الآيات المستثناة من سورة البقرة

تقرر أن سورة البقرة مدنية ، لكن هناك ثلاث آيات اسْتُثْنِيَت منها ، ندرس كل آية منها في مطلب مستقل :

المطلب الأول

قـول الله ـ تعـالى ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ (١) ﴾ .

يـرى أبوعُبَيْـدَة مَعْمَـر بـن المُثَنَّى(٢) ـ رحمـه الله ـ أن هـذه الآيـة مكيـة ، وحجته أنها تأمر بالعفو والصفح وترك القتال ، وكل آية عنده فيها ترك للقتال فهي مكية منسوخة بتشريع القتال(٣).

---

(١) سورة البقرة (١٠٩) .

(٢) هو مَعْمَر بن المُثَنَّى التيمي بالولاء ، البصري ، أبوعبيد النحوي ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته في البصرة ، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد وقرأ عليه أشياء من كتبه ، كان من حفاظ الحديث ، لكنه كان يبغض العرب ، وصنف في مثالبهم كتباً ، ولما مات لم يحضر جنازته أحد لشدة نقده معاصريه ، له نحو مائتا مؤلف ، منها : مجاز القرآن ، ومعاني القرآن ، مات سنة تسع ومائتين . انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٢ ، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٢٦ .

(٣) انظر المحرر الوجيز ١/ ١٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٧١ و ٧٢ ، والإتقان ١/ ٥٦ .

قال أبوعُبَيْدَة :"﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ ﴾ : عن المشركين ، وهذا قبل أن يؤمر بالهجرة والقتال ، فكل أمر نَهَى عن مجاهدة الكفار فهو قبل أن يؤمر بالقتال ، وهو مكي[1]":اهـ

وما قاله أبوعبيدة ـ رحمه الله ـ مردود عليه من وجهين :

الوجه الأول : صدر الآية واضح الدلالة على أن الآية تتحدث في أهل الكتاب ، حيث يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ، ومعاندات اليهود إنما كانت بالمدينة[2].

الوجه الثاني : ـ الأسباب التي نزلت فيها الآية كلها حوادث حدثت في المدينة :

فعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ «أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّ كَانَ شَاعِرًا ، وَكَانَ يَهْجُو[3] رَسُولَ اللهِّ ـ ﷺ ـ وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ فِي شِعْرِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِّ ـ ﷺ ـ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلاطٌ: مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِّ ـ ﷺ ـ ، وَمِنْهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري ١/ ٥٠ ، ط مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ ١٣٨١هـ .

(٢) انظر المحرر الوجيز١/ ١٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٧٢ .

(٣) يَهْجُو : يسب ويشتم . انظر العين للخليل بن أحمد ٤/ ٦٥ .

يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، وَمِنْهُمُ الْيَهُودُ ، وَهُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ[1] وَالْحُصُونِ ، فَأَرَادَ رسول اللهَّ - ﷺ - حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اسْتِصْلَاحَهُمْ كُلَّهُمْ ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَبُوهُ مُشْرِكٌ ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَخُوهُ مُشْرِكٌ . وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ - ﷺ - يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهَّ - ﷺ - وأصحابه أَشَدَّ الْأَذَى ، فَأَمَرَ اللهَّ - تَعَالَى - رَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ ، فَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهَّ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - :﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا

.....[2]﴾ الآية ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهَّ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[3].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - رَكِبَ حِمَارًا وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، حَتَّى مَرَّ

---

(١) الحَلْقَة : اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها . انظر لسان العرب ١٠/ ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران (١٨٦) .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه ٤/ ٦١٤ ، كتاب : الخراج والفيء والإمارة ، باب : كيف كان إخراجُ اليهودِ من المدينة ، برقم (٣٠٠٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٩٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠٤ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٣٨ ، وذكره ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٥٦ ، وقال : هذا سنده صحيح .

بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ ، وَالْيَهُودِ ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولٍ ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُاللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ[1] خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ - ﷺ - ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ : أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا - إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا - فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجْلِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ . فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ . فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَالْمُشْرِكُونَ ، وَالْيَهُودُ ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - يُخَفِّضُهُمْ[2] ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو الْحُبَابِ؟ يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ، قَالَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ . فَعَفَا عَنْهُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَالْمُشْرِكِينَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] .

---

(١) العَجَاجَةُ : الغبار . انظر لسان العرب ٢/ ٣١٩ .

(٢) يُخَفِّضُهُمْ : يُسَكِّنهم ويهون عليهم الأمر . انظر لسان العرب ٧/ ١٤٦ .

(٣) أخرجه أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني في كتابه أخلاق النبي وآدابه ١/ ٢٤٦ ، برقم (٧٤) ، ط دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض - الأولى ١٩٩٨م ، وذكره مقبل بن

فقد دل هذان الحديثان على أن الآية مدنية .

وإذا استوت الروايتان في الصحة ، وأمكن الجمع بينهما بأن كلاً من السببين حصل ونزلت الآية عقب حصولهما معا لتقارب زمنيهما حُمِل الأمر على تعدد السبب ، لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه[1].

ثم إن الآية مُحْكَمَة وليست منسوخة -على الصحيح من قولي العلماء-[2]، إذ لا يُحْكَم بالنسخ إلا عند التعارض التام بين الآيتين أو الآيات ، مع علم التاريخ ليُعْرَف المتقدم والمتأخر[3].

هادي الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٩ ، وحكم عليه بالصحة .

والحديث له أصل في الصحيحين ولكن بدون التصريح بأن هذه الحادثة هي سبب نزول الآية : أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٩ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ ، برقم (٤٥٦٦) ، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٢٢ ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي - ﷺ - إلى الله، وصبره على أذى المنافقين ، برقم (١٧٩٨) .

(١) انظر الإتقان ١/ ١٢٢ ، ومناهل العرفان ١/ ١١٨ .

(٢) قرر إحكام الآية وعدم نسخها أبوالفرج ابن الجوزي في المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ص ١٥ و ١٦ ، ط مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، والسيوطي في الإتقان ٣/ ٦٩ .

(٣) انظر الإتقان ٣/ ٨١ ، ومناهل العرفان ٢/ ١٧٨ .

قال السَّخَاوي[١] ـ رحمه الله ـ : "متى كان للخطاب طريق في الحكم بأنه مُحْكَم كان أولى من حمله على أنه منسوخ ، نحو قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ ، فَحَمْل هذا على أنه مُحْكَم أولى[٢]" :اهـ

وتشريع القتال ليس ناسخاً للأمر بالعفو والصفح ، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته[٣].

فالآيات التي تأمر بالعفو والصفح إنما هي في حق كل مؤمن مُسْتَضْعَف ، وآيات القتال في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله ، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والعفو والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة فإنما

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي ، أبو الحسن ، عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير، أصله من (صَخَا) بمصر، سكن دمشق ، وتوفي فيها سنة ثلاث وأربعين وستمائة . من كتبه : جمال القراء وكمال الإقراء ، وشرح الشاطبية ، وهو أول من شرحها ، وكان سبب شهرتها . انظر وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٠ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٨٤ .

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء ٢/ ٥٩٣ .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٣ .

يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[1].

فإن قيل : المؤمنون المستضعفون كيف يعفون ويصفحون ، والكفار كانوا أصحاب الشوكة والقوة ، والصفح لا يكون إلا عن قدرة؟

أُجِيب عن هذا بوجوه :

الوجه الأول : ـ أن الرجل من المسلمين كان يُنَال بالأذى ، فيقدر في تلك الحالة قبل اجتماع الأعداء أن يدفع عدوه عن نفسه ، وأن يستعين بأصحابه ، فأمر الله ـ تعالى ـ عند ذلك بالعفو والصفح كي لا يهيجوا شراً وقتالاً[2].

الوجه الثاني : ـ في أمره – تعالى – لهم بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة ، كأنه يقول : لا يغرنكم أيها المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم فإنكم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق ، فعاملوهم معاملة القوي العادل للقوي الجاهل[3].

---

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص ٢٢١ ، ط الحرس الوطني السعودي ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٣/ ٦٥٢ .

(٣) انظر تفسير المنار ١/ ٣٤٧ .

والوجه الثالث : ـ أُمِر المسلمون بالعفو والصفح عنهم في هذا الموضع خاصة لأن ما حُكِي عن أهل الكتاب هنا هو : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾، وهو مما يثير غضب المسلمين لشدة كراهيتهم للكفر ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ (١) ﴾ ، فلا جرم أن كان من يود لهم ذلك يعدونه أكبر أعدائهم ، فلما كان هذا الخبر مثيراً للغضب خيف أن يفتكوا باليهود وذلك ما لا يريده الله منهم ، لأن الله أراد منهم أن يكونوا مستودع عفو وحلم حتى يكونوا قدوة في الفضائل(٢).

خلاصة القول أن الآية محل البحث مدنية كسورتها ، دل على هذا حديثها الصريح عن معاندة اليهودِ أهلِ الكتاب ، ومعاندات اليهود إنما كانت بالمدينة ، ثم إن الأسباب التي نزلت فيها الآية كلها حوادث حدثت في المدينة .

ودعوى مكية الآية مبنية على توهم أن العفو والصفح لم يكونا إلا في المرحلة المكية ، ولا تعارض في الحقيقة بين الآيات التي تأمر بالعفو والصفح وبين الآيات التي تأمر بالقتال ، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته .

---

(١) سورة الحجرات (٧) .

(٢) انظر التحرير والتنوير ١/ ٦٧٠ .

والآية نزلت في الفترة التي كان رسول الله ـ ﷺ ـ يباشر فيها تأسيس الدولة في المدينة وقبل مرحلة الإذن بالقتال ، فلما استقر الرسول ـ ﷺ ـ في المدينة ، وأسس الدولة ، وأقام دعائم الدعوة جاء الإذن بالقتال في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾[1]﴾ .

(١) سورة الحج (٣٩) .

المطلب الثاني

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ [1] ﴾ .

في معرض ذكر المكي والمدني من السور ، وذكر الآيات المستثناة من كل سورة قال السيوطي ـ رحمه الله ـ :"البقرة : اسْتُثْنِي منها آيتان : ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ [2]﴾ ، و : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾[3]":اهـ

قلت : أما الآية الأولى فقد ناقشنا استثناءها في المطلب السابق .

وأما الآية الثانية فقد بحثت بحثاً طويلاً عمن استثناها وعن دليله ، فلم أجد إلا عالماً واحداً جاء بعد عصر السيوطي ، وهو مَرْعِي الكَرْمِي[4] الذي قال :"سورة البقرة : مدنية إلا قوله ـ تعالى : ﴿فَٱعْفُوا۟

---

(١) سورة البقرة (٢٧٢) .

(٢) سورة البقرة (١٠٩) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٥٦ .

(٤) هو : مَرْعِي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكَرْمِي المقدسي الحنبلي ، مؤرخ أديب ، من كبار الفقهاء ، ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفي فيها سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ، له نحو سبعين كتاباً، منها : قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن ، ومسبوك الذهب في فضل العرب . انظر الأعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي ٧/ ٢٠٣ ، ط دار العلم للملايين ، الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

وَٱصۡفَحُواْ .....﴾ الآيـــة ، و : ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ .....﴾ الآيـــة ، نزلتـــا بمكة[1]":اهـ

ولم أجد ـ مع طول البحث ـ أي دليل يدل على هذا الاستثناء ، اللهم إلا ما يمكن أن يُلْحَظ في الآية من طابع المرحلة المكية ، فالآية معناها : ليس عليك يا محمد ـ ﷺ ـ هُدَى المشركين إلى الإسلام ، بأن تمنعهم صدقة التطوع ، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام لاحتياجهم إليها ، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له ، فلا تمنعهم الصدقة[2].

ويُرَشِّح هذا المعنى ما ثبت من سبب نزول الآية ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :" كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا[3] لِأَقْرِبَائِهِم مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ

---

(١) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي ص ٤٩ ، ط دار القرآن الكريم ـ الكويت ـ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٥/ ٥٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٣٧ ، وروح المعاني ٢/ ٤٤ .

(٣) يقال : رَضَخْت له : أعطيته شيئاً من المال ليس بالكثير . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ٢/ ٢٢٨ ، ط المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ ، فَرَخَّصَ لَهُمْ ، فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِم[1].

لكن ، ليس المراد بالمشركين في هذا الحديث عبدة الأوثان من أهل مكة ، بل المراد بهم أهل الكتاب الذين كانوا مع النبي - ﷺ - والمسلمين في المدينة ، وهذا يقضي بأن الآية مدنية .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :" كَانَ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ قَرَابَةٌ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، فَكَانُوا يَتَّقُونَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ ، يُرِيدُونَهُمْ أَنْ يُسْلِمُوا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ .....﴾"[2].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١٠/ ٣٨ ، كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ ، برقم (١٠٩٨٦) ، والبزار في مسنده البحر الزخار ١١/ ٢٥٧ ، برقم (٥٠٤٢) ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٥٤ ، برقم (١٢٤٥٣) ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣ ، كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة ، برقم (٣١٢٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٤ : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص ٧٢٨ ، كتاب : الصدقة ، باب : إعطاء أهل الذمة من الصدقة ، وما يجزي من ذلك مما لا يجزي ، برقم (١٩٩٢) ، ط دار الفكر ، وحميد بن مَخْلَد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زَنْجُوَيَة في كتابه الأموال ٣/ ١٢١١ ، كتاب :

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ عَنِ الصَّدَقَةِ يُصَدَّقُ بِهَا عَلَى الْيَهُودِيِّ أَوِ النَّصْرَانِيِّ أَفَلَمْ يُجِبْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ :"جَاءَ جِبْرِيلُ قَالَ : إِنَّ اللهَّ ـ تَعَالَى ـ يَقُولُ : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ .....(١)﴾ إِلَى قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ :﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ .....﴾ الآية إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾(٢).

خلاصة القول أن الآية محل البحث مدنية كسورتها ، لأن رواية ابن عباس : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَقْرِبَائِهِم مِنَ الْمُشْرِكِينَ..... ، فَسَّرَتْها الروايتان الأخريان ، فصرحتا بأن الآية نزلت بسبب الأنصار الذين كرهوا أن ينفقوا على أقربائهم من أهل الكتاب الذين كانوا مع النبي ـ ﷺ ـ والمسلمين في المدينة ، وهذا يقضي بأن الآية مدنية .

الصدقة وأحكامها وسننها ، باب : ما جاء في الصدقة على أهل الذمة ، برقم (٢٢٩٠) ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ السعودية ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، وابن جرير الطبري في تفسيره ٥/ ٥٨٨ ، وهو حديث صحيح سنده موصول ورجاله ثقات .

(١) سورة البقرة (٢٧١) .

(٢) أخرجه عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن شاهين في كتابه الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ص ١١٤ ، برقم (٣٨٣) ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م . وهو حديث صحيح سنده موصول ورجاله ثقات .

المطلب الثالث

قـول الله ـ تعـالى ـ : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾[1]﴾ .

اسْتُثْنِيَت هـذه الآيـة مـن سـورة البقـرة المدنيـة ، وأول مـن اسـتثناها الماوردي[2] ـ رحمه الله ـ حيث قال :"سورة البقرة : مدنية في قول الجميع ، إلا آية منها ، وهـي قولـه ـ تعـالى ـ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، فإنهـا نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى[3]":اهـ

ونقل غير واحد من العلماء قول الماوردي هذا ، وسكت عنه[4].

---

(١) سورة البقرة (٢٨١) .

(٢) هو علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي : نسبته إلى بيع ماء الورد ، أقضى فضاة عصره ، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، وُلِد في البصرة ، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة ، ثم جُعل "أقضى القضاة" في أيام القائم بأمر الله العباسي . وكان يميل إلى مذهب الاعتزال ، وفاته ببغداد سنة خمسين وأربعمائة . من كتبه : أدب الدنيا والدين ، والنكت والعيون . انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٠١ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١١ .

(٣) النكت والعيون لعلي بن محمد الماوردي ١/ ٦٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

(٤) انظر زاد المسير ١/ ٢٤ ، وتفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ١/ ٩٣ ، ط دار ابن حزم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٢ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن

والماوردي ومن نقل عنه ذكروا أن الحجة لهذا الاستثناء أن الآية نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى ، ويمكن مناقشتهم من وجهين :

الوجه الأول : ـ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : "آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1]. ولم تصرح هذه الرواية بمكان نزول الآية .

لكن التصريح بمكان نزولها جاء من طريق الكلبي عن أبي صالح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ نَزَلَتْ بِمِنًى ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَوْتِ رسول الله ـ ﷺ ـ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ يَوْمًا[2].

عمر الشيحي المعروف بالخازن ١/ ٢٢ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥ هـ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري ١/ ١٢٨ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦ هـ .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٣٧١ ، برقم (١٢٠٤٠) ، وفي المعجم الكبير ـ أيضاً ـ ١٢/ ٢٣ ، برقم (١٢٣٥٧) ، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦/ ٤٠ ، وابن المنذر في تفسيره ١/ ٦٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٤ :"رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات:"اهـ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن جُمَيْع الصيداوي في كتابه معجم الشيوخ ص ٧١، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥ هـ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٧ ، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذا سند مهلهل ومسلسل بالعلل :

فالكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، قال ابن معين : الكلبي ليس حديثه بشيء . وقال النسائي : متروك الحديث . انظر الجرح والتعديل لابن

وهذا حديث بالطل ولا يصح الاحتجاج به .

والوجه الثاني : ـ لو فرضنا صحة الرواية التي تقضي بأن الآية نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى فإن هذا لا يُخْرِج الآية عن كونها مدنية ، لأن فيصل التفرقة بين المكي والمدني ليس هو مكان النزول ، إنما هو في زمانه ، فما نزل من القرآن قبل الهجرة فهو مكي ، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني حتى ولو نزل بمكة . وهذا هو الرأي الصحيح الذي عليه جمهور العلماء والسالم من كل انتقاد.

أبي حاتم ٧/ ٢٧٠ ، والضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٩٠ ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢/ ٢٥٣ .

وأبو صالح هو باذام ـ أو باذان ـ مولى أم هانيء بنت أبي طالب ، متهم بالكذب ، وكان يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه . وكان الشعبي يمر به فيأخذ بأذنه ويقول : وَيْحَك ، كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن تقرأ؟! . وقال البخاري : قال لنا علي بن المديني : حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال : قال لي الكلبي : قال لى أبو صالح : كل شئ حدثتك عن ابن عباس فهو كذب . انظر التاريخ الكبير للبخاري ١/ ١٠١ ، والضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٢٣ ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢/ ٢٥٦ .

وهذا ما قرره غير واحد من العلماء في الرد على مكية هذه الآية[1].

خلاصة القول أن الآية محل البحث مدنية كسورتها ، ودعوى مكيتها استندت على حديث باطل ، وانطلقت من منظور مكاني ، ولو انطلقت من منظور زماني - كما هو رأي الجمهور - لما ترددت في إقرار مدنيتها ، إذ الآية آخر ما نزل من القرآن الكريم .

وفي الجملة فالأصل في السورة المدنية أن تكون كل آياتها مدنية ، ولا يُقْبَل القول بمكية بعض آياتها إلا بدليل صحيح .

ومن ثم فلا يُقْبَل استثناء آيات من سورها دون دليل صحيح يدل على ذلك الاستثناء ، لأن الاستثناء خلاف الأصل ، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

---

(١) انظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٢/ ٦ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١/ ١٥٢ ، وروح المعاني ١/ ١٠١ ، وزهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة ١/ ٧٥، ط دار الفكر العربي ، والبرهان للزركشي ١/ ١٨٧ و ١٨٨ .

الفصل الثالث
سورة آل عمران

لأن سورة آل عمران لم يُسْتَثْن من آياتها شيء فسأدرسها من خلال مبحث واحد :

المبحث الأول
نزول سورة آل عمران

سورة آل عمران سورة مدنية ، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الهجرة[1].

والروايات التسع التي ذكرتها في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على مدنية سورة آل عمران[2].

ويمكن أن نستدل على مدنية سورة آل عمران بأربعة أدلة :

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٩٢ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٤٠٦ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمرو الزمخشري ١/ ٣٣٥ ، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٧هـ ، وزاد المسير ١/ ٢٥٧ ، ومفاتيح الغيب ٧/ ١٢٦ ، والتسهيل لابن جزي ١/ ١٤٤ ، وروح المعاني ٢/ ٧١ ، ومحاسن التأويل ٢/ ٢٥٣ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٤٣ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ .

(٢) انظر ص ٢٤ إلى ص ٣٥ من هذا البحث .

الدليل الأول : ـ ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة آل عمران واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[1].

الدليل الثاني : ـ ما استفاض عند المفسرين من أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران[2]، وهم طائفة من النصارى قَدِموا على رسول الله ـ ﷺ ـ من نجران إلى المدينة ، ودخلوا مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ وجادلوه في شأن عيسى ـ ﷺ ـ ، فنزل بضع وثمانون آية من صدر سورة آل عمران في الرد عليهم[3].

---

(١) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة آل عمران في أسباب النزول للواحدي ص ٩٩ ـ ١٤٥ ، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٢/ ٦٥٧ ـ ٨٢٣ ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي ص ٤٤ ـ ٦٢ .

(٢) نَجْرَان : بلد كبير في جنوب جزيرة العرب في الطريق إلى اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٢٦٦ ، وفتح الباري ٨/ ٩٤ .

(٣) انظر جامع البيان ٦/ ١٥٠ ، والنكت والعيون ١/ ٣٦٧ ، ومعالم التنزيل ١/ ٤٠٦ ، وزاد المسير ١/ ٢٥٧ ، والتسهيل لابن جزي ١/ ١٤٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٥٧ .

أخرج غير واحد عن الربيع بن أنس[١] قال : إِنَّ النَّصَارَى مِن نَّجْرَانَ أَتَوُا النَّبِيَّ - ﷺ - فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَقَالُوا : مَنْ أَبُوهُ؟ فَقَالُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ - ﷺ - :"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلَأُهُ[٢] وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟ قَالُوا بَلَى . قَالَ : فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عُلِّمَ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ يَشَاءُ . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَلَا يُحْدِثُ الْحَدَثَ؟[٣] قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يُطْعَمُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :

---

(١) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي ، أخذ العلم عن أنس بن مالك وابن عمر وجابر ، ثم عن كبار التابعين حتى صار أعلم أهل مرو في زمانه ، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٩ ، وطبقات المفسرين للأدنوي ص ١٦ .

(٢) يَكْلَأُ : يحفظ ويحرس . انظر لسان العرب ١/ ١٤٥ .

(٣) يُحْدِثُ الْحَدَثَ : يفعل ما يترتب على الأكل وهو التبرز . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣٥١ ، ولسان العرب ٢/ ١٣١ .

فَكَيْفَ يَكُونَ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟ فَعَرَفُوا ثُمَّ أَبَوْا إِلَّا جُحُودًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ :

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ .....(١)﴾(٢).

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :"سورة آل عمران إنما نزل صدرها متأخراً لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر(٣)":اهـ

---

(١) سورة آل عمران (١ و ٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٦/ ١٥٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٥٨٥ ، برقم (٣١٢٤) ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة ٢/ ٧٧٦ ، برقم (١٣٧٤) ، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، عن الحسن البصري مرسلاً .
وأخرجه عمر بن شبة بن عبيدة النميري في كتابه تاريخ المدينة ٢/ ٥٨٠ ، ط مكتبة السيد حبيب ـ جدة ـ ١٣٩٩هـ ، عن الشعبي مرسلاً .
وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً ، كما قرر ابن حجر في الفتح ١٣/ ٥٤٦ وقال ما خلاصته : إن المراسيل إذا تعدد طرقها فإن بعضها يعضد بعضاً مما يدل على أن للحديث أصلاً .
وقصة وفد نجران لها أصل في الصحيحين : أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب : قصة أهل نجران ، برقم (٤٣٨٠) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٢ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، برقم (٢٤٢٠) .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩٩ .

الدليل الثالث : إجماع العلماء على أن سورة آل عمران مدنية نزلت بعد الهجرة ، ولم يخالف في هذا أحد[١].

الدليل الرابع : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة آل عمران هي قضايا خصائص السور المدنية ، فقد تضمنت السورة الكلام عن جانبي العقيدة ، والتشريع :

أما العقيدة فللرد على نصارى نجران أثبتت الآيات وحدانية الله ، والنبوة ، وصدق القرآن ، وإبطال شبهات أهل الكتاب حول القرآن والنبي محمد ـ ﷺ ـ ، وإعلان كون الدين المقبول عند الله هو الإسلام، ومناقشة النصارى في شأن المسيح وألوهيته والتكذيب برسالة الإسلام، واستغرقت المناقشة قرابة نصف السورة[٢].

---

(١) انظر نَقْلَ هذا الإجماع في المحرر الوجيز ١/ ٣٩٦ ، وتفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ١/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ١ ، والجواهر الحسان للثعالبي ٢/ ٥ ، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني ١/ ١٩٣ ، ط مطبعة بولاق الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٥٧ ، والتحرير والتنوير ٣/ ١٤٣ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٥٨ .

(٢) انظر الإتقان ٣/ ٢٣٢ ، وزهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة ٢/ ١٠٩٦ ، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ٣/ ١٤١ .

وأما التشريع فقد أبانت الآيات بعض أحكام الشرع مثل فرضية الحج ، والجهاد ، وتحريم الربا ، وجزاء مانع الزكاة ، وبعض الدروس والعبر والعظات من غزوتي بدر وأحد ، والتنديد بمواقف أهل النفاق[1].

قال ابن تيمية :"سورة آل عمران إنما نزل صدرها متأخراً لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر ، وفيها فرض الحج ، وإنما فرض سنة تسع أو عشر، لم يفرض في أول الهجرة باتفاق المسلمين[2]":اهـ

ثم خُتِمَت السورة بما يناسب الجانبين ، فطالبت بالتفكير والتدبر في خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب وأسرار، وأوصت بالصبر على الجهاد والمرابطة في سبيل الله ليحظى الإنسان برتبة الفلاح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾[3] ﴾[4].

خلاصة القول أن سورة آل عمران سورة مدنية ، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها من أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد الهجرة ، وما استفاض عند المفسرين من أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران في السنة التاسعة من الهجرة ، ثم إجماع العلماء على أنها مدنية ، ولم يخالف في هذا أحد ، والقضايا التي تحدثت عنها هي قضايا خصائص السور المدنية .

---

(١) انظر زهرة التفاسير ٢/ ١٠٩٧ ، والتفسير المنير ٣/ ١٤١

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩٩ .

(٣) سورة آل عمران (٢٠٠) .

(٤) انظر زهرة التفاسير ٢/ ١٠٩٧ و ١٠٩٨ ، والتفسير المنير ٣/ ١٤١ .

الفصل الرابع
سورة النساء

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

نزول سورة النساء

أبرزت كتب التفسير وعلوم القرآن أن سورة النساء فيها قولان في الحكم على مكيتها أو مدنيتها :

القول الأول : ـ أن سورة النساء سورة مدنية ، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ في المدينة بعد الهجرة[1].

وبعض العلماء نسب هذا القول إلى الجمهور[2].

وبعضهم نقل الإجماع على مدنيتها[3].

---

(١) انظر الكشف والبيان ٣/ ٢٤١ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي ٢/ ٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، ومفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٥ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٠٤ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٤٦ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ ، والإتقان ١/ ٤٧ .

(٢) انظر تفسير القرآن للسمعاني ١/ ٣٩٢ ، وزاد المسير ١/ ٣٦٦ ، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ١٩٣ .

(٣) انظر الإيضاح في القراءات ص ٢٠٠ ، وبصائر ذوي التمييز ١/ ١٦٩ ، وزهرة التفاسير ٣/ ١٥٦٢ .

والروايات التسع التي ذكرتها في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على مدنية سورة النساء[١].

ويدل على مدنية سورة النساء ثلاثة أدلة :

الدليل الأول : ـ أخرج البخاري وغيره عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ :"مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ ـ ﷺ ـ"[٢].

ومن المعلوم أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تُزَف إلى النبي ـ ﷺ ـ إلا في السنة الأولى بعد الهجرة[٣].

قال ابن حجر في الفتح :"أشارت بقولها : "وأنا عنده" أي : بالمدينة ، لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقاً[٤]":اهـ

---

(١) انظر ص ٢٤ إلى ص ٣٥ من هذا البحث .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨٥ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، برقم (٤٩٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى ٧/ ٢٤٦ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزل القرآن ، برقم (٧٩٣٣) ، وعبدالرزاق الصنعاني في مصنفه ٣/ ٣٥٢ ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : إذا سمعت السجدة وأنت تصلي ، وفي كم يقرأ القرآن ، برقم (٥٩٤٣) .

(٣) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان ١/ ٤٥٠ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٤/ ١٨٨١ ، .

(٤) فتح الباري ٩/ ٤٠ ، وانظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١ ، والجواهر الحسان للثعالبي

الدليل الثاني : ـ ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة النساء واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[1].

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ :"إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة ـ يعني سورة النساء ـ عرفت الرد على من قال بأنها مكية[2]":اهـ

الدليل الثالث : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة النساء هي قضايا خصائص السور المدنية ، فهي تُعْنَى ـ كغيرها من السور المدنية ـ بتفاصيل الأحكام مما يكون بعد استقرار المسلمين بالمدينة ، وانتظام أحوالهم وأمنهم من أعدائهم .

٢/ ١٥٩، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩ ، والمنار ٤/ ٢٦٢ ، والتحرير والتنوير ٤/ ٢١١ ، والإتقان ١/ ٤٧ .

(١) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة النساء في أسباب النزول للواحدي ص ١٤٦ ـ ١٩٠ ، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٢/ ٨٢٤ ـ ٩٢١ ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي ص ٦٣ ـ ٨٢ .

(٢) لباب النقول في أسباب النزول لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٧٥ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ، وانظر الإتقان ١/ ٤٧ ، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩.

فافتتحت ـ بعد الأمر بالتقوى ـ بأحكام اليتامى والبيوت ، والأموال ، ومنها الميراث ، ومحرمات النكاح ، وحقوق الرجال على النساء ، والنساء على الرجال ، ثم ذُكِر فيها كثير من أحكام القتال . وجاء فيها بين أحكام البيوت ، وأحكام القتال حجاج لأهل الكتاب ، وفي أثناء أحكام القتال وآدابه شيء عن المنافقين ، ثم كانت أواخرها في محاجة أهل الكتاب إلا ثلاث آيات هن خاتمتها ، وكل ذلك من شئون الإسلام بعد الهجرة[1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ :"ومن تبين أحكامها ـ يعني سورة النساء ـ علم أنها مدنية لا شك فيها[2]":اهـ

وقال محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ :"وأما السور المدنية فحجاجها في الغالب مع أهل الكتاب ، والمنافقين ، وفيها تفصيل الأحكام الشخصية ، والمدنية لكثرة المسلمين المحتاجين إليها . فإذا فطنت لهذا تجلى لك أَفْنُ[3] رأي من قال : إن هذه السورة مكية ، فلا شيء من أحكامها كان مما يحتاج إليه في مكة قبل الهجرة[4]":اهـ

---

(١) انظر تفسير المنار ٤/ ٢٦٣ ، والتحرير والتنوير ٤/ ٢١٣ ، وزهرة التفاسير ٣/ ١٥٦٢ ، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ٤/ ٢٢٠ ، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٣/ ٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١ .

(٣) أَفْن الرأي : نقصه وحمقه . انظر العين للفراهيدي ٨/ ٣٧٨ ، ولسان العرب ١٣/ ١٩ .

(٤) تفسير المنار ٤/ ٢٦٣ .

القول الثاني : ـ ما ذهب إليه النحاس ـ رحمه الله ـ في كتابه معاني القرآن أن سورة النساء مكية ، مستنداً في هذا إلى أن قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ .....[1] ﴾

نزل بمكة يوم الفتح ، وذلك لأن مفتاح الكعبة كان في يد عثمان بن طلحة[2]، وكانت سقاية الحجيج في يد العباس بن عبدالمطلب عم النبي ـ ﷺ ـ فلما فتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكة وطلب المفتاح من عثمان ليدخل الكعبة خشي عثمان أن يعطيه النبي ـ ﷺ ـ إلى عمه العباس ، فنزلت هذه الآية تأمر النبي ـ ﷺ ـ برد المفتاح إلى عثمان[3].

قلت : أما نزول آية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ فسوف أناقشه في مبحث "الآيتان المستثناتان من سورة النساء" ـ إن شاء الله ـ

---

(١) سورة النساء (٥٨) .

(٢) هو عثمان بن طلحة بن عبد الله القرشي العبدري ، من بني عبد الدار ، صحابي ، كان حاجب البيت الحرام ، أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية ، وشهد فتح مكة ، فدفع رسول الله ـ ﷺ ـ مفتاح الكعبة إليه ، ثم سكن المدينة ومات بها سنة اثنتين وأربعين من الهجرة . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ٣/ ١٠٣٤ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٣٧٣ .

(٣) انظر معاني القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ٢/ ٧ و ٢/ ١٢٠ ، ط جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ الأولى ١٤٠٩هـ .

لكن العلماء قد عَلَت أصواتهم في الرد على النحاس في دعواه مكية سورة النساء ، وكان ردهم عليه من وجهين :

الوجه الأول : ـ تلك الأدلة التي ذكرتها آنفاً التي استدلوا بها على أن سورة النساء مدنية.

والوجه الثاني : ـ لو سلمنا بصحة نزول آية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ بمكة يوم الفتح فإن نزول آية بمكة من سورة طويلة إذا نزل معظمها بالمدينة لا يقتضي كون السورة كلها مكية ، خصوصاً أن الصحيح المُعْتَمَد أن ما نزل بعد الهجرة فهو معدود من المدني[1].

غير أني لاحظت شيئاً لم أر من العلماء من نبه إليه ، وهو أن النحاس ـ رحمه الله ـ قد تراجع عن القول بمكية سورة النساء ، وأقر بمدنيتها ، وهذا في كتابه الناسخ والمنسوخ ، حيث أخرج بسنده في صدر سورة الأنعام عن أبي عمرو بن العلاء : سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي ، فقال سألت ابن عباس عن ذلك فقال :"سُورَةُ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَهِيَ مَكِّيَّةٌ.....[2].

---

(١) انظر فتح الباري ٩/ ٤٠ ، والإتقان ١/ ٤٧ ، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩ ، وتفسير المنار ٤/ ٢٦٢ .

(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ص ٤١٥ ، وقد سبق في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني".

ثم قال النحاس ـ رحمه الله ـ :"وما تقدم من السور فهن مدنيات : أعني : سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة[١]":اهـ

وكتاب "معاني القرآن" الذي قرر فيه النحاس مكية سورة النساء صنفه أولاً ، ثم صنف بعد ذلك كتابه "الناسخ والمنسوخ" الذي قرر فيه مدنية سورة النساء ، بدليل أنه أحال في كتاب النسخ والمنسوخ على أشياء كان قد ذكرها في كتاب معاني القرآن[٢].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤١٥ .

(٢) خذ ـ مثلاً ـ ما قاله في كتاب الناسخ والمنسوخ ص ٢٩١ في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سورة النساء (٣) :"في هذه الآية إشكال ، وتفسير ، ونحو، وقد ذكرنا ما فيها إلا ما كان من النسخ":اهـ

وما فيها من إشكال ، وتفسير ، ونحو قد ذكره في كتابه معاني القرآن ٢/ ١٠ ـ ١٦.

وقال في كتاب الناسخ والمنسوخ ص ٤٧٣ في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ سورة الأنفال (٦٨) :"قيل : المعنى : لولا أن الله ـ تعالى ـ سبق منه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد التقدم إليه لعاقبكم قبلُ . وقيل : لولا أنه سبق من الله ـ تعالى ـ أنه لا يعذب أحداً على صغيرة إذا اجتنب الكبائر لعاقبكم . وفيه غير هذا قد ذكرته":اهـ

خلاصة القول أن سورة النساء سورة مدنية ، بدليل قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ ـ ﷺ ـ" ، وهي لم تُزَف إلى النبي ـ ﷺ ـ إلا في السنة الأولى بعد الهجرة ، وما صح من أسباب نزول كثير من آياتها من أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد الهجرة ، والقضايا التي تحدثت عنها هي قضايا خصائص السور المدنية .

وما ذهب إليه النحاس ـ رحمه الله ـ في كتابه "معاني القرآن" من القول بمكية سورة النساء قد تراجع عنه في كتابه "الناسخ والمنسوخ" وحكم بمدنيتها ، ومن ثم يمكن أن نقول : إن سورة النساء سورة مدنية بلا خلاف .

وغير هذا من الأقوال في تفسير الآية ذكرها النحاس رحمه الله ـ في كتابه معاني القرآن ٣/ ١٧٠ و ١٧١ .

المبحث الثاني
الآيتان المستثناتان من سورة النساء

تقرر أن سورة النساء مدنية ، لكن هناك آيتان اسْتُثْنِيَتا منها ، ندرس كل آية منهما في مطلب مستقل :

المطلب الأول

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[1] .

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : "كل شيء نزل : (يا أيها الناس) فهو بمكة ، وكل شيء نزل : (يا أيها الذين آمنوا) فهو بالمدينة"[2].

ومثل ما قال عبدالله بن مسعود قال بعض التابعين ، منهم : علقمة[3]. ويحيى بن سلام[4]. وميمون بن مهران ، وزاد : ما كان في القرآن : (يا أيها الناس) أو : (يا بني آدم) فإنه مكي[5].

---

(١) سورة النساء (١) .

(٢) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار ٤/ ٣٣٦ ، برقم (١٥٣١) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٠ ، برقم (٤٢٩٥) ، وسكت عنه .

(٣) أخرجه عنه أبوعبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ ، ومحمد بن أيوب بن الضريس في فضائل القرآن ص ٣٨ .

(٤) أخرجه عنه أبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن ص ١٣٢ .

(٥) أخرجه عنه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٣٦٧ .

هذه الآثار المروية عن هؤلاء جعلت بعض المفسرين يقررون أن الآية الأولى من سورة النساء قد اسْتُثْنِيَت من مدنية السورة ، وأن عبدالله بن مسعود ومن قال مثل قوله من التابعين يذهبون إلى أن الآية مكية[1].

وقد ذكرت في مبحث "تعريف المكي والمدني" ما رَدَّ به العلماء على هذا القول ، وأزيد هنا من وجوه الرد المتعلقة بهذا الموضع أربعة وجوه :

الوجه الأول : ـ بعض السور المدنية جاء الخطاب فيها بـ : (يا أيها الناس) ، مثل سورة البقرة المدنية التي يقول الله ـ تعالى ـ فيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾[2]﴾ ، وفيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾[3]﴾[4].

قال الطاهر بن عاشور :"قال بعضهم : نزل صدرها ـ يعني سورة النساء ـ بمكة ، وسائرها بالمدينة . والحق أن الخطاب بـ(يا أيها الناس) لا يدل إلا على إرادة دخول أهل مكة في الخطاب ، ولا يلزم أن يكون ذلك

---

(١) انظر تفسير القرآن للسمعاني ١/ ٣٩٣ ، والتفسير البسيط للواحدي ٦/ ٢٨١.

(٢) سورة البقرة (٢١) .

(٣) سورة البقرة (١٦٨) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١ ، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٣/ ١٥٥١ ، وبرهان الزركشي ١/ ١٩٠ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ .

بمكـة ، ولا قبـل الهجـرة ، فـإن كثـيراً ممـا فيـه : (يـا أيهـا النـاس) مـدني بالاتفاق[١]":اهـ

الوجه الثاني : ـ الخطاب في الآية الأولى من سورة النساء خطاب عام يعم الناس كلهم ، لأن لفظ (الناس) جمع دخله الألـف والـلام فيفيـد استغراق كل الناس[٢].

الوجه الثالث : ـ علل الله ـ تعالى ـ الأمر بالاتقاء بكونه ـ تعالى ـ خالقاً لهم من نفس واحدة ، وهـذه العلـة عامـة في حـق جميـع المكلفـين بـأنهم خُلِقوا بأسرهم من آدم ـ عليـه السـلام ـ ، وإذا كانـت العلـة عامـة كـان الحكم عاماً[٣].

الوجه الرابع : ـ التكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة ، بل هو عام في حق جميع العالمين[٤].

وإذا كان لفظ (الناس) عاماً في الكل ، وكان الأمر بالتقوى عامـاً في الكـل، وكانـت علـة هـذا التكليـف ـ وهـي كـونهم خلقـوا مـن الـنفس الواحدة ـ عامة في حق الكل كان القول بتخصيص الخطاب لأهل مكة في غاية البعد[٥].

خلاصة القول أن الآية الأولى من سورة النساء مدنية كسورتها ، ولا يصح استثناؤها اعتماداً على ضابط غير مطرد في سور القرآن وآياته .

---

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٢١٢ .
(٢) انظر مفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٥ ، وزهرة التفاسير ٣/ ١٥٧٣ .
(٣) انظر مفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٥ ، وزهرة التفاسير ٣/ ١٥٧٣ .
(٤) انظر مفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٥ ، وزهرة التفاسير ٣/ ١٥٧٣ .
(٥) انظر مفاتيح الغيب ٩/ ٤٧٥ .

المطلب الثاني

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ [(١)] ﴾ .

العلماء في هذه الآية على أربعة مذاهب :

المذهب الأول : ـ أن هذه الآية مستثناة من مدنية سورة النساء ، لأنها نزلت بمكة يوم الفتح ، وذلك لأن مفتاح الكعبة كان في يد عثمان بن طلحة ، وكانت سقاية الحجيج في يد العباس بن عبدالمطلب عم النبي ـ ﷺ ـ ، فلما فتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكة وطلب المفتاح من عثمان ليدخل الكعبة خشي عثمان أن يعطيه إلى عمه العباس ، فنزلت هذه الآية تأمر النبي ـ ﷺ ـ برد المفتاح إلى عثمان[(٢)].

قلت : قصة نزول هذه الآية بسبب مفتاح الكعبة جاءت من أربع روايات :

الرواية الأولى : ـ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ دَعَا عُثْمَانَ بنَ طَلْحَةَ فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : "أَرِنِي الْمِفْتَاحَ" . فَأَتَاهُ بِهِ ، فَلَمَّا بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهِ قَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

---

(١) سورة النساء (٥٨) .

(٢) انظر استثناء الآية من مدنية سورة النساء ومستند هذا الاستثناء في تفسير القرآن للسمعاني ١/ ٣٩٢ ، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٤٤٦ ، وزاد المسير ١/ ٣٦٦ ، وتفسير القرآن لعز الدين بن عبدالسلام ١/ ٣٠١ ، والجواهر الحسان للثعالبي ٢/ ١٥٩ .

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، اجْمَعْهُ لِي مَعَ السِّقَايَةِ . فَكَفَّ عُثْمَانُ يده ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : "أَرِنِي الْمِفْتَاحَ يَا عُثْمَانُ" . فَبَسَطَ يَدَهُ يُعْطِيهِ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ مِثْلَ كَلِمَتِهِ الْأُولَى ، فَكَفَّ عُثْمَانُ يَدَهُ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : "يَا عُثْمَانُ ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَهَاتِنِي الْمِفْتَاحَ" . فَقَالَ : هَاكَ[1] بِأَمَانَةِ اللهِ . قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَفَتَحَ بَابَ الْكَعْبَةِ ، وَأَخْرَجَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ فِي الْكَعْبَةِ فَأَلْزَقَهُ فِي حَائِطِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذِهِ الْقِبْلَةُ" . قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَطَافَ بِالْبَيْتِ شَوْطًا أَوْ شَوْطَيْنِ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ـ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا ـ بِرَدِّ الْمِفْتَاحِ ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ عُثْمَانَ بنَ طَلْحَة فَأَعْطَاهُ الْمِفْتَاح ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ..... ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ[2] .

قلت : هذه الرواية ـ على شدة ضعفها لأنها من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ ليست صريحة في نزول الآية في هذا الوقت ، لأن قوله : ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ـ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا ـ بِرَدِّ الْمِفْتَاحِ . يحتمل أن جبريل نزل بالآية في هذا الوقت ، ولما خرج النبي ـ ﷺ ـ من الكعبة قرأها ،

---

(١) هَاكَ : اسم فعل أمر بمعنى : خذ . انظر العين للفراهيدي ٤/ ١٠٢ .

(٢) أخرجه ابن مردوية كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٤٠ ، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر ٢/ ٨٩٢ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢/ ٥٧٠ ، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ، ولباب النقول ص ٦٠ .

ويحتمل أن جبريل نزل بكلام عادي ليس بقرآن يأمر النبي ـ ﷺ ـ برد المفتاح ، ولما خرج النبي ـ ﷺ ـ من الكعبة قرأ الآية مستشهداً بها ، والآية كانت قد نزلت قبل هذا اليوم .

الرواية الثانية : ـ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ قَالَ : "نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ حِينَ قَبَضَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ، فَدَعَا عُثْمَانَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ ، وَقَالَ : «خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ بِأَمَانَةِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ»[1].

الرواية الثالثة : ـ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، قَبَضَ مِنْهُ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةَ ، وَدَخَلَ بِهِ الْبَيْتَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ ، فَدَعَا عُثْمَانَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ ، قَالَ : وَقَالَ عُمَرُ بْنُ

---

(١) أخرجه محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي في كتابه أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ١/ ٢٦٥ ، ط دار الأندلس للنشر ـ بيروت ـ ، والواحدي في التفسير الوسيط ٢/ ٧٠ ، وفي أسباب النزول ١/ ١٦٢ ، من طريق سعيد بن سالم القَدَّاح عن ابن جريج عن مجاهد . وسعيد بن سالم القداح ضعيف جداً يهم في الأخبار حتى يجئ بها مقلوبة حتى خرج بها عن حد الاحتجاج به . انظر المجروحين لابن حبان ١/ ٣٢٠ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٣٦ . أضف إلى هذا علة الإرسال ، فمجاهد تابعي لم يدرك زمن النبي ـ ﷺ ـ .

الْخَطَّابِ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ مِنَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي ، مَا سَمِعْتُهُ يَتْلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ"[1].

الرواية الرابعة : ـ رواية بغير سند :"أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَغْلَقَ عُثْمَانُ بَابَ الْبَيْتِ وَصَعِدَ السَّطْحَ ، فَطَلَبَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ الْمِفْتَاحَ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ مَعَ عُثْمَانَ ، فَطَلَبَ مِنْهُ فَأَبَى وَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ لَمَا مَنَعْتُهُ الْمِفْتَاحَ ، فَلَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَدَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْمِفْتَاحَ وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ الْبَيْتَ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ الْعَبَّاسُ أَنْ يُعْطِيَهُ الْمِفْتَاحَ لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ[2]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ عَلِيًّا أَنْ يَرُدَّ الْمِفْتَاحَ إِلَى عُثْمَانَ وَيَعْتَذِرَ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : يَا عَلِيُّ أَكْرَهْتَ وَآذَيْتَ ثُمَّ جِئْتَ تَرْفُقُ! فَقَالَ : لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ فِي شَأْنِكَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ فَقَالَ عُثْمَانُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . وَأَسْلَمَ ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ ـ عليه السلام ـ وقال : مَا دَامَ هَذَا الْبَيْتُ فَإِنَّ الْمِفْتَاحَ وَالسِّدَانَةَ فِي أَوْلَادِ عُثْمَانَ[3].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨/ ٤٩١ ، وابن المنذر في تفسيره ٢/ ٧٦٢ ، برقم (١٩٢٠) ، وهو منقطع ، لأن ابن جريج من أتباع التابعين .

(٢) السِّدَانَةُ : خدمة الكعبة ، وخدمة أي مكان أُعِد للتعبد . انظر لسان العرب ١٣/ ٢٠٧ .

(٣) رواه بغير سند الواحدي في أسباب النزول ١/ ١٦٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣٢ ، وذكره الحافظ ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب ٢/ ٨٩٣ ، وعزاه إليهما ، ثم قال :"وفيه زيادات منكرة ، منها : أن المحفوظ

قلت : هذه روايات في غاية الضعف ، مع ما فيها من الاختلاف والاضطراب ، وقد اتفقت في شيء ، وانفردت كل رواية بشيء .

فاتفقت في أن النبي ـ ﷺ ـ أخذ المفتاح من عثمان بن طلحة ، ودخل الكعبة ، ثم خرج منها وهو يتلو الآية ، وأعطى عثمان المفتاح . وهذا القدر يمكن قبوله حيث تشهد بعض الروايات لبعض .

وانفردت كل رواية بشيء آخر مثل نزول الآية في هذا اليوم ، ومثل قول عمر بن الخطاب : فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي ، مَا سَمِعْتُهُ يَتْلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ . وهذا القدر لا يمكن قبوله لاستناده على رواية شديدة الضعف مع انفرادها به .

المذهب الثاني : ـ لو سلمنا بنزول الآية في مكة يوم الفتح فإن هذا لا يخرجها عن مدنيتها ، لأن الصحيح المُعْتَمَد أن ما نزل بعد الهجرة فهو معدود من المدني ، فالاعتبار بالزمان لا بالمكان[1].

وبهذا الاعتبار رجح المحققون أن كل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، ولا يعنون بهذا أنه نزل في نفس المدينة بالتفصيل كل آية آية ، وإنما المراد

أن إسلام عثمان بن طلحة كان قبل الفتح بمدة ، قدم هو وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد فأسلموا جميعاً ، بين الحديبية والفتح . ومنها : أنه أغلق الباب ، وصعد السطح ، فكيف يلتئم قوله : لوى علي يده ، مع كونه فوق السطح!":اهـ

(١) انظر فتح الباري ٩/ ٤٠ ، والإتقان ١/ ٤٧ ، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩ .

أنه نزل في الزمن الذي كانت المدينة فيه هي عاصمة الإسلام ، وكان للمسلمين فيه قوة تمنعهم ونظام يجمع شملهم ، وعلى هذا يكون حكم ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع كحكم ما نزل في الحديبية وبدر، وغير ذلك من المواضع التي كان يخرج إليها النبي ـ ﷺ ـ لغزو أو غيره على عزم العود إلى المدينة[1].

المذهب الثالث : ـ أن الآية نزلت قبل فتح مكة ، وأن النبي ـ ﷺ ـ تلاها يوم الفتح في قصة مفتاح الكعبة استشهاداً ، فبعض الروايات في واقعة المفتاح تشعر بأن النبي ـ ﷺ ـ قرأ الآية محتجاً ، ومبينا للحكم فيها ، فالتبس الأمر مع بعض الرواة فظنوا أن الآية نزلت حينئذ[2].

المذهب الرابع : ـ أن الآية جزء من سياقها الذي لا يمكن أن تنفصل أو أن تستقل عنه ، فقبلها قول الله ـ تعالى ـ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[3] ، حيث حكى الله ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق، حيث قالوا في شأن الذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . فكان ذلك خيانة منهم ، فأمر الله المؤمنين بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات ، أو من باب

---

(١) انظر تفسير المنار ٤/ ٢٦٢ .

(٢) انظر تفسير المنار ٤/ ٢٦٢ و ٥/ ١٣٧ ، والتفسير الحديث ٨/ ١٤٧ .

(٣) سورة النساء (٥١) .

الدنيا والمعاملات ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ ، ويدخل في المأمورين دخولاً أولياً الحكام وولاة الأمور[1]، ثم أمر بعدها الرعية بطاعة الله وطاعة الرسول وطاعة الحكام وولاة الأمور فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ [2]﴾[3].

فالآية جاءت في سياق مدني بامتياز ، فقبلها حديث عن خيانة حدثت من أهل الكتاب بالمدينة ، وبعدها آية فيها أمر للمسلمين بإطاعة

---

(١) عن زيد بن أسلم قال : نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ في ولاة الأمر . أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٩٠ ، وابن المنذر في تفسيره ٢/ ٧٦٢ ، برقم (١٩١٩) .

وعن شهر بن حوشب قال : نزلت في الأمراء خاصة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ . أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٩٠ .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ :"وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي قولُ من قال : هو خطاب من الله ولاةَ أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في حقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم ، بالعدل بينهم في القضية ، والقَسْم بينهم بالسوية . يدل على ذلك ما وَعظ به الرعية في : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ ، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية ، وأوصى الرعية بالطاعة":اهـ جامع البيان ٨/ ٤٩٢ . وانظر مفاتيح الغيب ١٠/ ١١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٥٩ .

(٢) سورة النساء (٥٩) .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ١٠/ ١٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٥٦ و ٢٥٩ .

الله ورسوله وأولي الأمر ورَدِّ ما يتنازعون فيه إلى الله ورسوله ، حيث يجعل كل هذا صلة وثيقة بين الآية والآيات التي بعدها . فضلاً عن أنه لا تُفْهَم أيَّة حكمة في وضع آية في شَأْنٍ وَقَع يوم الفتح المكي في هذا السياق[1].

خلاصة القول أن الآية محل البحث مدنية كسورتها ، ولا يصح استثناؤها ، لأن استثناءها مُسْتَنِد على روايات شديدة الضعف ، وفيها الكثير من الاختلاف والاضطراب ، يفيد بعضها أنها نزلت في مكة يوم الفتح .

ولو سلمنا بنزول الآية في مكة يوم الفتح فإن هذا لا يخرجها عن مدنيتها ، لأن الصحيح المُعْتَمَد أن ما نزل بعد الهجرة فهو معدود من المدني ، فالاعتبار بالزمان لا بالمكان .

على أن بعض العلماء ذهب إلى أن الآية نزلت قبل فتح مكة ، وأن النبي ـ ﷺ ـ تلاها يوم الفتح استشهاداً ، فالتبس الأمر مع بعض الرواة فظنوا أن الآية نزلت حينئذ .

ثم إن الآية جزء من سياقها المدني الذي لا يمكن أن تنفصل أو أن تستقل عنه .

---

(١) انظر التفسير الحديث لدروزة محمد عزت ٨/ ١٤٦ .

الفصل الخامس
سورة المائدة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول
نزول سورة المائدة

سورة المائدة سورة مدنية ، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الهجرة ، بل هي من أواخر ما نزل عليه ـ ﷺ ـ في المدينة[1].

والروايات التسع التي ذكرتها في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على مدنية سورة المائدة[2].

ويمكن أن نستدل على مدنية سورة المائدة بخمسة أدلة :

الدليل الأول : ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ[3] قَالَ : حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِي: هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ : «أَمَا إِنَّهَا

---

(١) انظر الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ٥ ، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٣٦٤ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢/ ١٤٧ ، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥ ، ومحاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٤٩ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ .

(٢) انظر ص ٢٤ إلى ص ٣٥ من هذا البحث .

(٣) هو جُبَيْر بنُ نُفَيْر الحضرمي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، كان جاهلياً أسلم في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، وكان ثقة فيما روى من الحديث .

آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ . وَسَأَلْتُهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ . قَالَتِ : الْقُرْآنُ[1].

الدليل الثاني : ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ[2].

ومات سنة ثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢٢٣ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٦ .

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١٠/ ٧٩ ، كتاب : التفسير ، باب : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ سورة المائدة (٣) ، برقم (١١٠٧٣) ، وأحمد في المسند ٤٢/ ٣٥٣ ، برقم (٢٥٥٤٧) ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٠ ، برقم (٣٢١٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . و أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٣٥٧ ، وصححه جمال الدين محمد بن يوسف الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ١/ ٣٧٧ ، ط دار ابن خزيمة ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٤هـ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٢٦١ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة ، برقم (٣٠٦٣) ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٠ ، برقم (٣٢١١) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٧٨ ، برقم (١٣٩٧٩) .

وقد جاء في آخر ما نزل من السور حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ ـ عَنْهُ ـ قَالَ :"آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَة .

أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٦٧ ، كتاب : المغازي ، باب : حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ، برقم (٤٣٦٤) ، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٣٦ ، كتاب : الفرائض ، باب : آخر آية أنزلت آية الكلالة ، برقم (١٦١٨) ، وأحمد في المسند ٣٠/ ٥٩٥ ، برقم (١٨٦٣٨) .

وحديث عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ : «نَعَمْ» : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾.....﴾ سورة النصر . قَالَ : صَدَقْتَ .

أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٣١٨ ، كتاب : التفسير ، برقم (٣٠٢٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٢٦٠ ، برقم (٣٥٨٨٣) .

ولا تناقض بين هذه الأحاديث ، حيث دلت جميعها على أن سورة المائدة ، والتوبة، والنصر آخر ما نزل من السور .

فسورة النصر هي آخر سورة نزلت كاملة ، كما صرح بذلك حديث ابن عباس : تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟.....

أما سورة المائدة وسورة التوبة فالآخرية ليست بالنظر إلى السورة بتمامها ، حيث نزلت كلتاهما في مناسبات متعددة ، وبهذا يتعين أن المراد بالآخرية الجزء الأكبر الذي تم نزول كل منهما به ، وأن معظم كل واحدة منهما من أواخر القرآن نزولاً .

فسورة التوبة نزل أولها في سنة تسع عقب فتح مكة لأن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث علياً ـ رضي الله عنه ـ بسورة التوبة في الحجة التي حجها أبو بكر ـ رضي الله

الدليل الثالث : ـ ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة المائدة واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[1].

الدليل الرابع : ـ إجماع العلماء على أن سورة المائدة مدنية نزلت بعد الهجرة ، ولم يخالف في هذا أحد[2].

عنه ـ بالناس قبل حجة الوداع ، فقرأها على الناس حتى ختمها ، ونزل كثير من آياتها في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة .

وبعض آيات سورة المائدة نزلت في السنين الأولى بعد الهجرة ، ومعظمها نزل متأخراً ، وآية ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ نزلت في حجة الوداع سنة عشر .

انظر شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ٦/ ٣٠٥ ، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، و الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٥٨ ، وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ١١٦ ، وفتح الباري للحافظ ابن حجر ٨/ ٣١٦ ، و ٨/ ٧٣٤ ، ومناهل العرفان ١/ ٩٩ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ١٢٣ .

(١) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة المائدة في أسباب النزول للواحدي ص ١٩١ ـ ٢١٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٧٥ ـ ٨٧ ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي ص ٨٣ ـ ٩٢ .

(٢) انظر نَقْلَ هذا الإجماع في الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٢/ ٣٣٤ ، والمحرر الوجيز ٢/ ١٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٠ ، والتحرير والتنوير ٦/ ٦٩ ، والإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأَنْدَرَابِيّ ص

الدليل الخامس : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة المائدة هي قضايا خصائص السور المدنية ، فسورة المائدة أجمعُ سورةٍ في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم ، والأمر والنهي ؛ ولهذا قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ[1]، ولهذا افتتحت بقوله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ [2]﴾ ، والعقود هي عهود الله التي أخذها على أهل الإيمان فيما أحله لهم وحرمه عليهم[3]، ثم ذكر فيها من التحليل والتحريم والإيجاب ما لم يذكر في غيرها[4].

ففي السورة فصول عديدة تضمنت أحكاماً وتشريعات تعبدية واجتماعية وأخلاقية وسياسية ومعاشية وشخصية، مثل وجوب احترام العهود وتقاليد الحج وأمن الحجاج دون تأثر بعداء أو بغضاء ، والأمر بالتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان بسبب ذلك ، والحالات التي يحرم فيها أكل لحوم الأنعام ، وحل صيد الجوارح، وحل طعام الكتابيين للمسلمين والتزوج بنسائهم وحل

---

٢٠٠ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٧٨ ، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٢/ ١٠٤ .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) سورة المائدة (١) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٩/ ٤٥٢ ، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ٥ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٤٤٨ .

طعام المسلمين لهم ، وأركان الوضوء والطهارة ورخصة التيمم ، وتوكيد العدل شهادة وحكماً دون تأثر بعداء أو بغضاء ، والنهي عن تحريم الطيبات ، وتشريع حد الفساد في الأرض ، والسرقة وتحلة اليمين ، والنهي عن الخمر والميسر وذبائح القمار والأنصاب ، والنهي عن صيد البر في الحج ، وتشريع كفارته مع تحليل صيد البحر ، وتسفيه بعض العادات الجاهلية المتصلة بالأنعام ، والتنويه بتقاليد الحج والكعبة ومنافعها ، وتشريع الإشهاد على التركات وتحقيق صحة الشهادة .

وفيها كذلك فصول عديدة في النصارى واليهود ، احتوت دعوتهم إلى الإسلام ، وإيذانهم برسالة النبي إليهم ، وكون القرآن جاء مصدقاً لما قبله من الكتب ومهيمناً عليها ، وتنديداً بأعمال ودسائس اليهود ومكرهم وربط حاضر أخلاقهم ومواقفهم بماضي أخلاق آبائهم ومواقفهم ، وحكاية تعجيزهم لموسى في صدد دخول الأرض المقدسة ، وحكاية قتل أحد ابني آدم لأخيه وما احتوته شريعة اليهود من أحكام الجرائم ، وحكمة اختلاف الشرائع عن بعضها ، وتقرير كون اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمسلمين ، وتحذير منهم ، ونهي عن موالاة اليهود والنصارى الذين يعادون المسلمين ويسخرون من دينهم ، ووجوب حصر الولاء فيما بين المسلمين ، وتنديد بعقيدة النصارى بالمسيح وأمه وتقرير ببطلانها لذاتها وعلى لسان السيد المسيح ، ومشهد من مشاهد إيمان بعض النصارى الذين منهم قسيسون ورهبان بما أنزل

على النبي ـ ﷺ ـ ، وتقرير كون النصارى هم أقرب الناس مودة للمسلمين ، وفصل عن رسالة المسيح لبني إسرائيل والمعجزات التي جاء بها ومواقفهم تجاهها ، وإيمان الحواريين به واستنزال مائدة من السماء بناء على طلبهم ، وقد سميت السورة باسمها بسبب ذلك[1].

مسألة : هل يُفْهَم من قول عبدالله بن عمرو وقول عائشة ـ رضي الله عنهم ـ : إن سورة المائدة آخر سورة نزلت . أنها نزلت جملة واحدة؟

وللجواب عن هذا أقول : جاء حديثان قد يُفْهَم منهما ـ أيضاً ـ أن سورة المائدة نزلت جملة واحدة من أولها إلى آخرها :

الحديث الأول : ـ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ[2] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ قَالَتْ : «إِنِّي

---

(١) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٧٩ ، والتحرير والتنوير ٦/ ٧٢ ، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٩/ ٧ ، والتفسير المنير ٦/ ٦١ .

(٢) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ، من أخطب نساء العرب ، ومن ذوات الشجاعة والإقدام . كان يقال لها : خطيبة النساء ، وفدت على رسول الله ـ ﷺ ـ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه ، وحضرت وقعة اليرموك سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت تسقي الظمأى وتضمد جراح الجرحى ، واشتدت الحرب فأخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف فصرعت به تسعة من الروم ، وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل نحو سنة ثلاثين من الهجرة . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٧/ ١٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٨/ ٢١ .

لَآخُذةٌ بِزِمَامِ الْعَضْبَاءِ[1] نَاقَةِ رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُوْرَةُ الْمَائدَةِ كُلُّهَا ، فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ عُنُقَ النَّاقَةِ[2][3]»

---

(١) الناقة العضباء هي الناقة مشقوقة الأذن ، وسميت ناقة الرسول ـ ﷺ ـ العضباء لنجابتها لا لشق أذنها . انظر العين ١/ ٢٨٣ ، وغريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/ ٢٠٧ .

(٢) تَدُق : تكسر . انظر مختار الصحاح ١/ ١٠٦ ، ولسان العرب ١٠/ ١٠٠ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٥/ ٥٥٧ ، برقم (٢٧٥٧٥) ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ١٧٨ ، برقم (٤٤٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٧٨ ، برقم (٢٢٠٧) وابن جرير الطبري في جامع البيان ٩/ ٥٢٩ . كلهم من طريق ليث بن أبي سُلَيْم عن شَهْر بن حَوْشَب عن أسماء بنت يزيد .

وليث بن أبي سليم كان من العباد ولكن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به ، فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم ، لذلك تركه يحيى القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ١٨٠ ، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٢٣١ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٤٦٤ .

أما شهر بن حوشب فمُخْتَلَف فيه بين نقاد الحديث ، فقد تركه شعبة ويحيى بن سعيد . وقال النسائي وابن عدي : ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : لا يحتج بحديثه . ووثقه أحمد ويحيى بن معين فقط . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٢٥٨ ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ٥٧ .

وقال ابن حجر في التقريب ص ٢٦٩ :"شهر بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد ابن السكن ، صدوق كثير الإرسال والأوهام":اهـ

الحديث الثاني : ـ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : "أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ[1]، فَنَزَلَ عَنْهَا[2]".

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣ وقال :"رواه أحمد والطبراني ، وفيه شهر بن حوشب ، وهو ضعيف":اهـ

(١) فلم تستطع أن تحمله . أي : فلم تستطع الراحلة أن تحمله لما كان يحدث فيه ـ ﷺ ـ من الثقل من جهة القرآن . قال الله ـ تعالى ـ :﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ سورة المزمل (٥) ، وحدوث الثقل فيه ـ ﷺ ـ عند نزول القرآن معلوم من الأحاديث الصحيحة . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٦٦ ، وفتح الباري ٩/ ٨١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١١/ ٢١٨ ، برقم (٦٦٤٣) ، وتفرد به كما قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥ .

وهو من طريق عبدالله بن لَهِيعَة حدثني حُيَيٌّ بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو.....

وفي هذا السند علتان : الأولى : ـ عبدالله بن لَهِيعَة ، وهو ضعيف كما في التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٨٢ ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ٢٣٧ ، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢/ ١٣٦ .

والعلة الثانية : حُيَيٌّ بن عبد الله ، وفي أحاديثه مناكير كما قي الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٣٥ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٢٧١ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/ ١٩٩ .

والحديثان ضعيفان ، ولعل الخطأ فيهما من الرواة خفيفي الضبط ، فلعل الحديثين يقصدان نزول آية : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ، فأخطأ هؤلاء الرواة الضعفاء وقالوا : نزلت عليه سورة المائدة كلها وهو راكب على راحلته .

وقد ألمح إلى هذا الفيروزابادي[1] حينما قال عن سورة المائدة :"هذه السورة مدنية بالإجماع ، سوى آية واحدة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ، فإنها نزلت يوم عرفة في

وقد ذكر الحديث وضعفه بهاتين العلتين الحافظ ابن حجر في كتابه المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٤/ ٦٠٧ ، ط دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزابادي أو (الفيروز آبادي) : من أئمة اللغة والأدب ، ولد بشيراز وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند وانتشر اسمه في الآفاق ، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، أشهر كتبه القاموس المحيط ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، توفي سنة ثمانمائة وسبع عشرة من الهجرة . انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ١٠/ ٧٩ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٢٧٣ ، ط المكتبة العصرية ـ لبنان ـ .

الموقف فى حجة الوداع[١]، ورسول الله ـ ﷺ ـ راكب على ناقته «العضباء» فسقطت الناقة على ركبتها من ثقل الوحي وشرف الآية[٢]":اهـ

والحق أن سورة المائدة لم تنزل جملة واحدة ، بل نزلت مُنَجَّمَة مُفَرَّقَة على فترات[٣]، ويدل على هذا أدلة :

الدليل الأول : ـ عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ[٤]، أَتَى النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : لاَ

---

(١) سيأتي الحديث في هذا الشأن قريباً ـ إن شاء الله ـ .

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٧٨ ، وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ٧/ ١٠٠، ط المطبعة الأميرية الكبرى ـ مصر ـ السابعة ١٣٢٣هـ .

(٣) انظر المحرر الوجيز ٢/ ١٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١٥٦ ، والتحرير والتنوير ٦/ ٧٠ ، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٩/ ٩ ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٤/ ٨ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣١٣ .

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٢٨٧ :"(أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ) أي : من كل شيء يُقَابِل ذلك من الدنيويات ، وقيل : من الثواب . أو المراد الأعم من ذلك . والمراد المبالغة في عظمة ذلك المشهد ، وأنه كان لو خُيِّر بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائناً ما كان لكان حصوله له أحب إليه":اهـ .

نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ» يَعْنِي: قَوْلَهُ[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ :"لَمَّا سَارَ رَسُولُ الله - ﷺ - إِلَى بَدْرٍ خَرَجَ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَسَكَتَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، إِنَّمَا يُرِيدُكُمْ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَالله لَا نَكُونُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، وَلَكِنْ وَالله لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَ الإِبِلِ حَتَّى تَبْلُغَ بَرْكَ الْغِمَادِ[3]لَكُنَّا مَعَكَ[4].

---

(١) سورة المائدة (٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٧٣ ، كتاب : المغازي ، باب : قول الله - تعالى - : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الأنفال (٩) ، برقم (٣٩٥٢) ، وأحمد في المسند ٦/ ٢٢٧ ، برقم (٣٦٩٨) ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٩٢ ، برقم (٥٤٨٦) .

(٣) بَرْك الْغِمَادِ : موضع في أقاصي هجر ، وقيل : في طرف اليمن ، وقيل : موضع على خمس ليال أو ثمان ليال من مكة إلى جهة اليمن مما يلي البحر . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٣٩٩ .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، كتاب : السِّيَر ، باب : مشاورة الإمام الناس إذا كثر العدو وقَلَّ مَنْ معه ، يرقم (٨٥٢٧) ، وأحمد في المسند ١٩/ ٧٩ ، برقم (١٢٠٢٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٨٦ ، برقم

فهذان الحديثان يفيدان أن الصحابة كانوا على علم قبل غزوة بدر بهذه الآيات التي وردت في سورة المائدة ، والتي تحكى موقف بني إسرائيل من نبيهم موسى عند ما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة[1][2].

الدليل الثاني : ـ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا[3] مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا : نَعَمْ ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَقَالَ : «أَنْشُدُكَ بِالله الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى ، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ : لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا ، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، قُلْنَا : تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ ، فَقَالَ

(٢٠٣٠٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٧٥ :"رواه أحمد، ورجاله ثقات" :اهـ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/ ١٠١٩ ، برقم (٣٣٤٠) .

(١) راجع الآيات (٢٠ ـ ٢٦) من سورة المائدة .

(٢) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٤/ ٩.

(٣) مُحَمَّم : مصبوغ وجهه بالسواد . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٤٤٤ .

رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : «اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ» ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ (١) ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ (٢) ﴾ ، يَقُولُونَ : ائْتُوا مُحَمَّدًا ـ ﷺ ـ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ (٣) ﴾ ، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ (٤) ﴾ ، فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا(٥).

فهذه الآيات من سورة المائدة تحكى ألواناً من تعنت اليهود مع النبي ـ ﷺ ـ ومن تحاكمهم إليه لا من أجل الوصول إلى الحق وإنما من أجل إظهاره بمظهر الجاهل بأحكام التوراة .

وفعلهم هذا يدل على أنهم كانت لهم قوة ونفوذ في المدينة عند نزول هذه الآيات.

---

(١) سورة المائدة (٤١) .

(٢) سورة المائدة (٤١) .

(٣) سورة المائدة (٤٥) .

(٤) سورة المائدة (٤٧) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٢٧ ، كتاب : الحدود ، باب : رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، برقم (١٧٠٠) ، وأبوداود في السنن ٤/ ١٥٤ ، كتاب : الحدود ، باب : في رجم اليهوديين ، برقم (٤٤٤٨) ، وأحمد في المسند ٣٠/ ٤٨٩ ، برقم (١٨٥٢٥) .

ومن المعروف أن نفوذ اليهود بالمدينة قد تلاشى بعد غزوة بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة . وأن قوتهم قد زالت بعد فتح خيبر في أوائل السنة السابعة من الهجرة ، مما يدل على أن هذه الآيات نزلت قبل السنة الخامسة من الهجرة[1].

الدليل الثاني : ـ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : سَقَطَتْ قِلاَدَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ المَدِينَةَ ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ وَنَزَلَ فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي[2]لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلاَدَةٍ؟! فَبِي المَوْتُ[3]لِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، وَقَدْ أَوْجَعَنِي ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ ، فَالْتُمِسَ المَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ .....[4]﴾ الآية ، فَقَالَ أُسَيْدُ

---

(١) انظر التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٩/ ٩ ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٤/ ٩ .

(٢) فَلَكَزَنِي : من اللكز وهو الضرب بقبضة اليد على العضد . انظر فتح الباري ١٢/ ١٧٤ ، ولسان العرب ٥/ ٤٠٦ .

(٣) فَبِي المَوْتُ : أصابني هَمٌ وألم مثل الموت لمكان رسول الله ـ ﷺ ـ مني فخفت أن أكون سبب تنبهه عن النوم . انظر الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي الكرماني ٢٣/ ٢٢٧ .

(٤) سورة المائدة (٦) .

بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، برقم (٤٦٠٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٣٤١ ، برقم (١٠٦٢) من طريق عَمْرُو بْنِ الحَارِثِ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ القَاسِمِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ ..... بهذا اللفظ المصرح بأن الآية التي نزلت في هذه القصة هي الآية التي في سورة المائدة .

وفي رواية أخرى : .....«فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ . أخرجها البخاري في صحيحه ٦/ ٥٠ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، برقم (٤٦٠٧) ، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦ برقم (٣٤٩٦) .

ومن ثم فكون آية التيمم في هذا الحديث هي آية المائدة ليس محل اتفاق بين العلماء ، حتى قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ :"هما آيتان فيهما ذكر التيمم : إحداهما في النساء ، والأخرى في المائدة ، فلا نعلم أية آية عنت عائشة":اهـ أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبدالله بن العربي ١/ ٥٦٢ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

وآية النساء التي عناها ابن العربي هي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا

عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة النساء (٤٣) .

وفي تفسير آية النساء هذه ذكر القرطبي توقف ابن العربي في تعيين أي الآيتين أرادت عائشة ، ثم قال :"فهي هذه الآية على ما ذكرنا":اهـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٣٣ .

قال ابن حجر :"قال القرطبي : هي آية النساء ، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء ، وآية النساء لا ذكر فيها للوضوء فيتجه تخصيصها بآية التيمم:"اهـ فتح الباري ١/ ٤٣٤ .

والصحيح أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عنت بآية التيمم آية سورة المائدة ، والأدلة على هذا :

أولاً : صرحت رواية البخاري والبيهقي من طريق عمرو بن الحارث أن آية التيمم هي آية سورة المائدة .

قال ابن حجر :"خفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرح فيها بقوله : فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ .....﴾ الآية ، سورة المائدة (٦)":اهـ فتح الباري ١/ ٤٣٤ .

وهذا السفر المذكور في هذا الحديث كان في غزوة المُرَيْسِيع إلى بني المُصْطَلِق بن خزاعة في سنة ست من الهجرة[1].

وقال السيوطي :"لا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها أية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور":اهـ لباب النقول في أسباب النزول ص ٧٧ .

ثانياً : ـ ترجم الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه لحديث عائشة فقال : كتاب التيمم ، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ . صحيح البخاري ١/ ٧٣ و ٧٤ .

وهذا واضح الدلالة على أن المراد بآية التيمم هي آية سورة المائدة ، لأن آية سورة النساء ليس فيها لفظ : ﴿مِّنْهُ﴾ .

(١) انظر الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطئه من الرأي والآثار للحافظ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ٦/ ٢٢١ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ١/ ٢٧٩ ، ط المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ .

وبنو المصطلق هم من خزاعة ، وكانت الوقعة بهم في موضع يقال له المريسيع ، وذلك في نحو سنة ست من الهجرة ، والغزوة تعرف عند أهل السير بغزوة المريسيع وغزوة بني المصطلق . انظر السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام

الدليل الثالث : ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا ، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا . قَالَ : أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ . قَالَ عُمَرُ : «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ جُمُعَةٍ[1]» .

فدلت السنة الصحيحة على أن بعض آيات سورة المائدة قد نزل في حجة الوداع ، وبعضها قد نزل بعد غزوة المريسيع ، وبعضها كان معروفاً للصحابة قبل اشتراكهم في غزوة بدر .

وبعض آيات هذه السورة تحكى أحداثاً ومجادلات قد حصلت بين النبي ـ ﷺ ـ وبين اليهود ، وهذه الأحداث وتلك المجادلات من المستبعد أن تكون قد حدثت بعد غزوة بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة ،

٢/ ٢٨٩ ، والخصائص الكبرى لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٣٩١ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٠ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، برقم (٤٦٠٦) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣١٣ ، كتاب : التفسير ، برقم (٣٠١٧) ، والترمذي في سننه ٥/ ٢٥٠ ، كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ـ ﷺ ـ ، باب : ومن سورة المائدة ، برقم (٣٠٤٣) .

لأنه لم يبق لليهود نفوذ في المدينة بعد غزوة بني قريظة حتى يستطيعوا أن يواجهوا النبي - ﷺ - بما واجهوه من مجادلات ومن تحاكم إليه بقصد إحراجه .

ومع كل هذا فنحن نرجح أن جانباً كبيراً من آيات سورة المائدة قد نزل متأخراً ، لأن هناك آثاراً تشهد بأن سورة المائدة - في مجموعها - من آخر ما نزل على النبي - ﷺ - من قرآن[1].

خلاصة القول أن سورة المائدة سورة مدنية إجماعاً بدليل قول عائشة وعبدالله بن عمرو : إنها من آخر سور القرآن نزولاً . والمراد أن معظم آياتها من أواخر ما نزل على النبي - ﷺ - في آخر حياته .

وما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة المائدة واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي - ﷺ -

والقضايا التي تحدثت عنها سورة المائدة هي قضايا خصائص السور المدنية .

ولم تنزل سورة المائدة دفعة واحدة بدليل أسباب نزول بعض آياتها ، وهي حوادث حدثت في أزمنة متباعدة .

والأحاديث التي قد يُفْهَم منها أن سورة المائدة نزلت دفعة واحدة محمولة على أن المراد بها جزءٌ كبير من مجموع السورة لا جميعُها .

---

(١) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٤/ ١٠ .

المبحث الثاني
الآيتان المستثناتان من سورة المائدة

تقرر أن سورة المائدة مدنية ، لكن هناك آيتان اسْتُثْنِيَتا منها ، وهناك عدد من الآيات في موضع من السورة لم يستثنها أحد من العلماء لكن جاء ما يُفْهَم منه أنها آيات مكية ، والآن ندرس كل آية منها في مطلب مستقل :

المطلب الأول

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا (١) ﴾ .

تقرر في المبحث السابق أن هذه الآية نزلت في مكة يوم عرفة في حجة الوداع ، ففي الصحيحن عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا ، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا . قَالَ : أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ . قَالَ عُمَرُ : «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ جُمُعَةٍ(٢)» .

---

(١) سورة المائدة (٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٠ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، برقم (٤٦٠٦) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣١٣ ، كتاب : التفسير ، برقم (٣٠١٧) ، والترمذي في سننه ٥/ ٢٥٠،

وللعلماء في شأن هذه الآية ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : ـ الحكم بأن سورة المائدة مدنية ، والتصريح بأن هـذه الآية مكية[١].

الاتجاه الثاني : ـ الحكم بأن سورة المائدة مدنية باستثناء آيـة واحـدة هي هذه الآية ، ولكن من غير تصريح بأن حكمها مكي[٢].

الاتجاه الثالث : ـ الحكم بأن سورة المائدة مدنية ، والتصريح بأن هذه الآية مدنية ـ أيضاً ـ مع أنها نزلت في مكة يوم عرفة في حجة الوداع[٣].

كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ـ ﷺ ـ ، باب : ومن سورة المائدة ، برقم (٣٠٤٣) .

(١) صرح بهذا أبو سليمان الدمشقي كما في زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٥٠٥ ، والشهابُ الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي عناية القاضي وكفاية الراضي ٣/ ٢٠٨ ، والشعبيُ وأبو جعفر بن بشر كما في روح المعاني للآلوسي ٣/ ٢٢١ .

(٢) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٤٧ ، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٥ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ٣ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢/ ٥٣٩ ، والبيان في عد آي القرآن ص ١٤٩ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٧٨ .

(٣) انظر درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني ٢/ ٦٤٧ ، ط سلسلة إصدارات مجلة الحكمة ـ بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ، وزاد المسير ١/ ٥٠٥ .

وهذا القول هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء ، لأن كل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي - ﷺ - فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة ، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة[1].

فمع أن هذه الآية نزلت في مكة يوم عرفة في حجة الوداع فإن هذا لا يخرجها عن مدنيتها ، لأن الصحيح المُعْتَمَد أن ما نزل بعد الهجرة فهو معدود من المدني ، فالاعتبار بالزمان لا بالمكان[2].

وبهذا الاعتبار رجح المحققون أن كل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، ولا يعنون بهذا أنه نزل في نفس المدينة بالتفصيل كل آية آية ، وإنما المراد أنه نزل في الزمن الذي كانت المدينة فيه هي عاصمة الإسلام ، وكان للمسلمين فيه قوة تمنعهم ونظام يجمع شملهم ، وعلى هذا يكون حكم ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع كحكم ما نزل في الحديبية وبدر، وغير ذلك من المواضع التي كان يخرج إليها النبي - ﷺ - لغزو أو غيره على عزم العود إلى المدينة[3].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ١٤٣ ، ومحاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣ ، وتفسير المنار ٦/ ٩٦ ، وزهرة التفاسير ٤/ ٢٠٠٣ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٥ ، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ١٠٤ ، ومناهل العرفان ١/ ١٩٤ .

(٢) انظر فتح الباري ٩/ ٤٠ ، والإتقان ١/ ٤٧ ، وروح المعاني ٢/ ٣٨٩ .

(٣) انظر تفسير المنار ٤/ ٢٦٢ .

خلاصة القول أن الآية محل البحث نزلت في مكة يوم عرفة في حجة الوداع ، لكن هذا لا يخرجها عن كونها مدنية ، لأن كل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي - ﷺ - فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة ، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.

المطلب الثاني

قـول الله ـ تعـالى ـ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ [(١)] ﴾ .

متى نزلت هذه الآية ؟ وما هو السبب في نزولها ؟

جاء في كتب التفسير وغيرها روايات تجيب عن هذا السؤال من عدة وجوه :

الو جه الأول : ـ أن هـذه الآيـة نزلـت تُـؤَمِّن الرسـول ـ ﷺ ـ مـن أذى قريش .

رُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : أَيُّ آيَةٍ أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ أَشَدُّ عَلَيْكَ؟ قَالَ : فَقَالَ : كُنْتُ بِمِنًى أَيَّامَ مَوْسِمٍ ، وَاجْتَمَعَ مُشْرِكُوا الْعَرَبِ وَأَفْنَاءُ النَّاسِ[(٢)] فِي الْمَوْسِمِ فَأُنْزِلَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ ، قَالَ : فَقُمْت عِنْد الْعقبَة فناديت : يَا أَيهَا النَّاسُ مَنْ يَنْصُرُنِي عَلَى أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالاتِ رَبِّي وَلَكُمُ الْجَنَّةُ؟ أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ تُفْلِحُوا أَوْ تَنْجَحُوا وَلَكُمُ

---

(١) سورة المائدة (٦٧) .

(٢) أفناء الناس أي أخلاط الناس ، والواحد فِنْو ـ بكسر فسكون ـ ، ورجل من أفناء القبائل . أي : لا يُدْرَى من أي قبيلة هو . انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٨/ ٣٧٧ ، ولسان العرب ١٥/ ١٦٥ .

الْجَنَّةُ ، قَالَ : فَمَا بَقِيَ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ وَلا صَبِيٌّ إِلا يَرْمُونَ عَلَيَّ بِالتُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ ويبزقون فِي وَجْهي وَيَقُولُون : كَذَّاب صابيء . قَالَ : فَعَرَضَ عَلَيَّ عَارِضٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ فَقَدْ آنَ لَكَ أَن تدعو عَلَيْهِمْ كَمَا دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلاكِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَانْصُرْنِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُجِيبُونِي إِلَى طَاعَتِكَ . فَجَاءَ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ وَطَرَدَهُمْ عَنْهُ[1].

---

(١) أخرجه الإ مام أبوعبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المشهور بالضياء المقدسي في كتابه الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ١٠/ ١٣ ، ط دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ، من طريق رَجَاءِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبِي صَالِحٍ الصَّغَانِيُّ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ الْكُوفِيُّ حدثنا الأَعْمَشُ عَنْ قَابُوسِ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ..... ، ورجاء بن عبد الله أبو صالح الصغاني لم أجد له ترجمة . ومحمد بن عبد السلام الكوفي لم أجده . والأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي ، ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس ، وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٣٧ ، وتهذيب الكمال ١٢/ ٧٦ ، والتقريب ص ٢٥٤ . وقابوس بن أبي ظبيان هو قابوس بن حصين بن جندب الجَنْبِي الكوفي ، ضعيف ، وقال ابن حبان : كان رديء الحفظ يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ، وربما رفع المرسل وأسند الموقوف ، وأبوه ثقة ، وكان يحيى بن معين شديد الحمل على قابوس . انظر التاريخ الكبير ٧/ ١٩٣ ، والمجروحين لمحمد بن حبان بن أبي حاتم ٢/ ٢١٥ ، والكامل في ضعفاء

وهذا يقضي أن الآية مكية نزلت قبل الهجرة .

الوجه الثاني : أن أبا طالب عم النبي ـ ﷺ ـ كان يخاف عليه من أن تقتله قريش ، فكان يأمر رجالاً من أقاربه بحراسته ، فنزلت هذه الآية تُؤَمِّن النبي ـ ﷺ ـ من القتل .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ يُحْرَسُ ، فَكَانَ يُرْسِلُ مَعَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ كُلَّ يَوْمٍ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَحْرُسُونَهُ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ..... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ، فَأَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ مَنْ يَحْرُسُهُ فَقَالَ : «يَا عَمِّ إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»[1].

الرجال لابن عدي ٦/ ٤٨ . ومن ثم فالحديث مسلسل بالعلل فهو ضعيف جداً .

(١) أخرجه الواحدي في كتابه الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٢٠٩ ، وفي أسباب النزول ١/ ٢٠٥ ، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٥٦ ، برقم (١١٦٦٣) ، من طريق عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيِّ، عَنِ النَّضْرِ أَبِي عُمَرَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.....

وعبد الحميد بن عبدالرحمن الحماني قال عنه علماء الجرح والتعديل : ضعيف ليس بشيء . انظر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٧/ ٩ ، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢/ ٨٦ ، وتقريب التهذيب ص ٣٣٤ .

والنضر بن عبدالرحمن أبو عمر الخَزَّاز قال عنه ابن معين : لا يحل لأحد أن يروي عنه . وقال البخاري وأبوحاتم : منكر الحديث . وقال النسائي : متروك

وهذا ـ أيضاً ـ يقضي أن الآية مكية نزلت قبل الهجرة .

والوجه الثالث : ـ نزلت هذه الآية بسب أعرابي كان هَمَّ بقتل رسول الله ـ ﷺ ـ فكفاه الله إياه .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الْأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ بَنِي أَنْمَارٍ نَزَلَ عَلَى نَخْلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ بِئْرٍ قَدْ دَلَّى رِجْلَيْهِ فَقَالَ الْغَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ: لَأَقْتُلَنَّ مُحَمَّداً فَقَالَ أَصْحَابُهُ : كَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : أَعْطِنِي سَيْفَكَ فَإِذَا أَعْطَانِيهِ قَتَلْتُهُ بِهِ قَالَ : فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي سَيْفَكَ أَشِيمُهُ[1] فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَرُعِدَتْ يَدُهُ حَتَّى سَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ : «حَالَ اللهَّ

الحديث . وسُئِل أبونعيم الفضل بن دكين عن النضر بن عبد الرحمن الخزاز فرفع شيئاً من الأرض فقال : لا يسوي هذا ، كان يجلس عند الحماني فكل شيء يُسْأَل عنه يقول : عكرمة عن ابن عباس .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧ وقال :"رواه الطبراني ، وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف":اهـ

وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١٣/ ٩٨٨ ، برقم (٦٤٤٠) وقال : ضعيف جداً .

(١) أَشِيمُهُ : أسله من جرابه وأنظر إليه . انظر العين ٦/ ٢٩٣ .

بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُ» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ (١) ﴾ .

وكانت غزوة أنمار بناحية نجد لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة(٢).

ويشهد لهذا الحديث - أيضاً - حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله - ﷺ - إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً، نَظَرُوا أَعْظَم شَجَرَةٍ يَرَوْنَهَا فَجَعَلُوهَا لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا ، وَيَنْزِلُ أَصْحَابُهُ بَعْدَ ذلِكَ فِي ظِلِ الشَّجَر. فَبَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ - وَقَدْ علَّق السَّيْفَ عَلَيْهَا - إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، ثُمّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَهُوَ نَائِمٌ فَأَيْقَظَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ النَّبِيّ - ﷺ - : "الله". فَأَنْزَلَ الله : ﴿

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١١٧٣ ، برقم (٦٦١٤) . ويشهد له حديث أبي هريرة الذي بعده .

(٢) انظر سببها وتفصيل أحداثها في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٣/ ١٥٧ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبدالملك بن حسين بن عبدالملك العاصمي المكي ٢/ ١١٩ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ[1] ﴾ .

وهذان الحديثان يقضيان أن الآية مدنية نزلت بعد الهجرة .

ومن أجل اختلاف هذه الروايات فإن للعلماء في شأن هذه الآية ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : أن هذه الآية مكية .

ولم أر مَنْ حكم عليها بهذا إلا فضيلة الشيخ المراغي[2] ـ رحمه الله ـ حينما قال :"وقد وُضِعَت هذه الآية ـ وهى مكية ـ في سياق تبليغ أهل

---

(١) أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٣٠ ، ط دار الكتب العلمية ، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ٢/ ١٧٥ ، برقم (١٤٥٥) ، ط دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ، وفي السلسلة الصحيحة ٥/ ٦٤٥ ، برقم (٢٤٨٩) . وذكره الشيخ مقبل بن هادي الوادعي قي كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٨٦ .

(٢) هو الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي ، مفسر مصري ، من العلماء . تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها . وولي نظارة بعض المدارس . وعُيِّن أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم . وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٢م . له كتب، منها : الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي . انظر الأعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي ١/ ٢٥٨ ، ط دار العلم للملايين ، الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

الكتاب ـ وهو مدنى ـ لتدل على أن النبي ـ ﷺ ـ كان عرضة لإيذائهم ـ أيضاً ـ وأن الله ـ تعالى ـ عصمه من كيدهم ، ولتُذَكِّر بما كان من إيذاء مشركي قومه من قبلهم[1]":اهـ

الاتجاه الثاني : ـ أن هذه الآية مكية مدنية ، نزلت مرة بمكة قبل الهجرة ، ثم تكرر نزولها بعد الهجرة .

ولم أر مَنْ حكم عليها بهذا إلا الإمام الآلوسي[2]ـ رحمه الله ـ حينما قال : "الذي أميل إليه ـ جمعاً بين الأخبار ـ أن هذه الآية مما تكرر نزوله[3]":اهـ.

---

(١) تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ٦/ ١٦٠ ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .

(٢) هو محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء ، شيخ علماء العراق في عصره ، مفسر، فقيه ، أديب ، لغوي ، نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات ، ولد ببغداد ، وتقلد الإفتاء فيها سنة ١٢٤٨ هـ ، ثم عُزِل ، فانقطع للعلم . ثم سافر إلى عدة بلاد ، وعاد إلى بغداد ، وعكف على التأليف إلى أن توفي سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة . له تصانيف أشهرها : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، وله ـ أيضاً ـ الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية . انظر الأعلام ٧/ ١٧٦ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢/ ١٧٥ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

(٣) روح المعاني ٣/ ٣٦٤ .

الاتجاه الثالث : ـ أن الآية مدنية كسورتها ، بناء على صحة سبب النزول الذي يقضي بأنها مدنية ، وشدة ضعف سبب النزول الذي يقضي بأنها مكية .

قال ابن كثير بعد أن ذكر حديث حراسة أبي طالب للنبي ـ ﷺ ـ : "هذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية[1]":اهـ .

قلت : هذا الاتجاه هو الصحيح ، فالآية مدنية ، نزلت أول ما نزلت بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، ويدل على ذلك دليلان :

الدليل الأول : ـ أنه قد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ كان يُحْرَس حتى بعد هجرته من مكة إلى المدينة بفترة ، ففي الصحيحين وغيرهما عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَرِقَ[2] رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ : «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» ، قَالَتْ : وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : «مَنْ هَذَا؟» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ :

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٥٣ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٢٢٤ ، ولباب النقول للسيوطي ٨٣ .

(٢) أرق ـ بفتح الراء وكسرها ـ أي : سهر ولم يتمكن من النوم . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٤٠ ، والقاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الثامنة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

يَا رَسُولَ الله ، جِئْتُ أَحْرُسُكَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَنَامَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ[1][2].

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث :"قال العلماء : وكان هذا الحديث قبل نزول قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لأنه ـ ﷺ ـ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية ، وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته . وقد صرح في هذه الرواية بان هذا الحديث كان في أول قدومه المدينة ، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان[3]":اهـ

قلت : والدليل على أن رسول الله ـ ﷺ ـ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية ، وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ

---

(١) الغطيط : الصوت الذي يخرج مع نفس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٧٢ ، ولسان العرب ٧/ ٣٦٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٨٣ ، كتاب : التمني ، باب : قول النبي ـ ﷺ ـ : ليت كذا وكذا ، برقم (٧٢٣١) ، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٥ ، كتاب : فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ، برقم (٢٤١٠) ، والترمذي في سننه ٥/ ٦٥٠ ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ، برقم (٣٧٥٦) ، وأحمد في المسند ٤٣/ ١٨ ، برقم (٢٥٠٩٣) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٨٣ .

ٱلنَّاسِ﴾ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ[1] فَقَالَ لَهُمْ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ[2]».

الدليل الثاني : ـ لو سَلَّمْنَا أن هذه الآية نزلت في أول مدة البعثة لقلنا : هي تثبيت للرسول ـ ﷺ ـ وتخفيف لأعباء الوحي عنه ، كما أنزل الله ـ تعالى ـ قوله : ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾[3]﴾ ، فأما وسورة المائدة مدنية فنحن إذن بين احتمالين :

الاحتمال الأول : ـ أن تكون هذه الآية نزلت من قبل نزول هذه السورة، وهو الذي تواطأت عليه هذه الأخبار في سبب نزولها كما في

---

(١) القبة من الخيام : بيت صغير مستدير ، وهو من بيوت العرب يصنع من الصوف والوبر الغليظ . انظر النهاية في غريب الأثر ٤/ ٣ ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ١/ ٥٠٣ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٢٥١ ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المائدة ، برقم (٣٠٤٦) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١٣٥ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٢ ، برقم (٣٢٢١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٤ برقم (١٧٧٣٠) ، والطبري في تفسيره ١٠/ ٤٦٩ ، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٧٣ ، برقم (٦٦١٥) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/ ٦٤٤ ، برقم (٢٤٨٩) .

(٣) سورة الحجر (٩٤ و ٩٥) .

الوجهين الأولين . وهذا الاحتمال لا ينبغي اعتباره لاقتضائه أن تكون هذه الآية بقيت عدة سنين غير ملحقة بسورة ، وغير جائز أن تكون مقروءة بمفردها ، وبذلك تندحض جميع الأخبار الواردة في أسباب النزول التي تَذْكُر حوادث كلها حصلت في أزمان قبل زمن نزول هذه السورة .

والاحتمال الثاني : ـ أن تكون هذه الآية سيقت لسبب خاص اقتضى ـ إعادة تثبيت الرسول ـ ﷺ ـ على تبليغ شيء مما يثقل عليه تبليغه . وهذا الاحتمال هو ما ينبغي التعويل عليه ، والقضية التي جاءت هذه الآية في سياقها هي شن حملة قوية جداً لإبراز معايب أهل الكتاب من اليهود والنصارى والازدراء عليهم .

قال الطبري :"هذا أمر من الله ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ـ ﷺ ـ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص الله ـ تعالى ـ قصصهم في هذه السورة وذكر فيها معايبهم ، وخبث أديانهم ، واجتراءهم على ربهم وأنبيائهم ، وتبديلهم كتابه وتحريفهم إياه ، ورداءة مطاعمهم ومآكلهم.....، وأمره أن لا يُشْعِر نَفْسَه حذراً منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ما قام فيهم بأمر الله ، ولا جزعاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه ، وأن لا يتقى أحداً في ذات الله ، فإن الله ـ تعالى ـ كافيه كل أحد من خلقه ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهه[1]":اهـ

---

(١) جامع البيان ١٠/ ٤٦٧ ، وانظر بحر العلوم للسمرقندي ١/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٦٨ .

وقال الفخر الرازي :"واعلم أن هذه الروايات ـ وإن كثرت ـ إلا أن الأولى حمله على أنه ـ تعالى ـ آمنه من مكر اليهود والنصارى ، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم ، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها[1]":اهـ

وقال صاحب الظلال :"يبدو من السياق ـ قبل هذا النداء وبعده ـ أن المقصود به مباشرة هو مواجهة أهل الكتاب بحقيقة ما هم عليه ، وبحقيقة صفتهم التي يستحقونها بما هم عليه ، ومواجهتهم بأنهم ليسوا على شيء ، ليسوا على شيء من الدين ، ولا العقيدة ، ولا الإيمان ، ذلك أنهم لا يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، ومن ثم فلا شيء مما يَدَّعونه لأنفسهم من أنهم أهل كتاب وأصحاب عقيدة وأتباع دين[2]":اهـ

فالآية جاءت على وتيرة قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ

(١) مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٠١ ، وانظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ٤/ ٣٢١ ، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ٣/ ٦٠ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٩٣٨ .

ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ .....(١)﴾ ، وقوله : ﴿.....وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ .....(٢)﴾ ، فعاد الخطاب للرسول ـ ﷺ ـ ثانية بتثبيت قلبه وشرح صدره بأن يدوم على تبليغ الشريعة ويجتهد في ذلك ولا يكترث بالطاعنين من أهل الكتاب .

وقد عُلِم من خُلق النبي ـ ﷺ ـ أنه يحب الرفق في الأمور كلها ، فلما أمره الله أن يقول لأهل الكتاب :﴿..... وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠(٣)﴾ ، وكان ذلك القول مجاهرة لهم بسوء ، فأعلمه الله بأن هذا لا رفق فيه فلا يدخل فيما كان يعاملهم به من المجادلة بالتي هي أحسن ، وهو من الاستثناء المذكور في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ (٤)﴾ .

فكما ثبت قلبه بالخطاب الأول وأن لا يهتم بمكائد أعدائه : ﴿لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ ، حذره بالخطاب الثاني من ملاينتهم في إبلاغهم قوارع القرآن ، أو من خشيته إعراضهم عنه إذا أُنْزِل من القرآن في شأنهم، إذ لعله يزيدهم عناداً وكفراً ، كما دل عليه قوله ـ تعالى ـ بعد هذه

---

(١) سورة المائدة (٤١) .
(٢) سورة المائدة (٤٩) .
(٣) سورة المائدة (٥٩ و ٦٠) .
(٤) سورة النساء (١٤٨) .

الآية محل البحث : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١) ﴾

ثم عقب ذلك ـ أيضاً ـ بتثبيت قلبه بأن لا يهتم بكيدهم بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ **، وأن كيدهم مصروف عنه بقوله :** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

فالتبليغ المأمور به في هذه الآية على هذا الوجه تبليغ ما أنزل من القرآن في تقريع أهل الكتاب ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ **يصدق على شيء معهود من آي القرآن ، وهي الآي المتقدمة على هذه الآية بصفة خاصة ، ويصدق على كل ما نزل من القرآن قبل ذلك اليوم بصفة عامة(٢).**

وهذا لا يتعارض مع كون الآية نزلت بسبب الأعرابي الذي هَمَّ بقتل النبي ـ ﷺ ـ ، لأن الآية قد تنزل على سبب معين ، ثم توضع في سياق معين لتؤكد معنى هذا السياق ، بحيث يكون هذا المعنى الذي نزلت بسببه مشابهاً لمعنى السياق الذي وضعت فيه(٣).

---

(١) سورة المائدة (٦٨) .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٦/ ٢٥٦ ، باختصار وتصرف يسيرين .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٥ ، والإتقان في علوم القرآن ١/ ١١٣ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ١/ ١٦٣ .

خلاصة القول أن الآية محل البحث مدنية كسورتها ، ولم يحكم بمكيتها إلا فضيلة الشيخ المراغي ـ رحمه الله ـ . وقال الآلوسي : إنها مكية مدنية ، نزلت مرة بمكة قبل الهجرة ، ثم تكرر نزولها بعد الهجرة .

والذي ألجأهما إلى هذا ما جاء في رواية أن هذه الآية نزلت تُؤَمِّن الرسول ـ ﷺ ـ من أذى قريش ، وما جاء في رواية أخرى أن أبا طالب عم النبي ـ ﷺ ـ كان يخاف عليه من أن تقتله قريش ، فكان يأمر رجالاً من أقاربه بحراسته ، فنزلت هذه الآية تُؤَمِّن النبي ـ ﷺ ـ من القتل . وهذه روايات ضعيفة جداً لا تقوم بها حجة .

والصحيح أن الآية مدنية نزلت بعد الهجرة في غزوة أنمار بسبب أعرابي كان هَمَّ بقتل رسول الله ـ ﷺ ـ فكفاه الله إياه .

المطلب الثالث

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾(١) ﴾ .

لم أر أحداً من العلماء استثنى هذه الآيات من سورة المائدة المدنية ، لكن قد جاء من الحديث ما قد يُفْهَم منه أن هذه الآيات مكية نزلت قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ (٢) ﴾ .

وعَنْ عَبْدِالله بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ **قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ وَهُوَ**

---

(١) سورة المائدة (٨٢ ـ ٨٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٠/ ٥٠٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١١٨٥ ، برقم (٦٦٨٠) ، والبزار في مسنده البحر الزخار ٦/ ١٤٢ ، برقم (٢١٨٣) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤١٩ ، وقال : "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر العقيلي ، وهو ثقة" :اهـ

بِمَكَّةَ يَخَافُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَبَعَثَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ وَعُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ فِي رَهْطٍ[1] مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ ، بَعَثُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي رَهْطٍ مِنْهُمْ سَبَقُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ - ﷺ - إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ خَرَجَ فِينَا رَجُلٌ سَفَّهَ عُقُولَ قُرَيْشٍ وَأَحْلَامَهَا ، زَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْكَ رَهْطًا لِيُفْسِدُوا عَلَيْكَ قَوْمَكَ ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْتِيَكَ وَنُخْبِرَكَ خَبَرَهُمْ . قَالَ : إِنْ جَاءُونِي نَظَرْتُ فِيمَا يَقُولُونَ . فَقَدِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَقَامُوا بِبَابِ النَّجَاشِيِّ فَقَالُوا : أَتَأْذَنُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ؟ فَقَالَ : ائْذَنْ لَهُمْ ، فَمَرْحَبًا بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ سَلَّمُوا ، فَقَالَ لَهُ الرَّهْطُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أَلَا تَرَى أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّا صَدَقْنَاكَ ، لَمْ يُحَيُّوكَ بِتَحِيَّتِكَ الَّتِي تُحَيَّا بِهَا؟ فَقَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تُحَيُّونِي بِتَحِيَّتِي؟ فَقَالُوا : إِنَّا حَيَّيْنَاكَ بِتَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتَحِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ . قَالَ لَهُمْ : مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ؟ قَالَ : يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَيَقُولُ فِي مَرْيَمَ : إِنَّهَا الْعَذْرَاءُ الْبَتُولُ[2]. قَالَ : فَأَخَذَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : مَا زَادَ عِيسَى

---

(١) الرَّهْطُ : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة ، ويقال : من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة : نَفَرٌ . انظر العين ٤/ ١٩ .

(٢) البَتْل في اللغة هو القطع ، ومنه قيل لمريم : البتول ، لانقطاعها للعبادة والخدمة في بيت المقدس . انظر غريب الحديث للقاسم بن سلام ٤/ ٢٠ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٦ .

وَأُمُّهُ عَلَى مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ قَدْرَ هَذَا الْعُودِ ، فَكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَهُ ، وَتَغَيَّرَتْ وجُوهُهُمْ . قَالَ لَهُمْ : هَلْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : اقْرَءُوا ، فَقَرَؤُوا ، وَهُنَالِكَ مِنْهُمْ قِسِّيسُونَ وَرُهْبَانٌ وَسَائِرُ النَّصَارَى ، فَعَرَفَتْ كُلَّ مَا قَرَأُوا ، وَانْحَدَرَتْ دُمُوعُهُمْ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ . قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد ما ذكر هذا الحديث :"هذا القول فيه نظر؛ لأن هذه الآية مدنية ، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة(٢)":اهـ

قلت : لا داعي لهذا الاعتراض ـ مع أنه يُثْبِت أن الآيات مدنية وليست مكية ـ فما قاله عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس ليس الغرض منه إثبات أن الآيات نزلت في نفس زمن وقوع حادثة النجاشي

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٠/ ٤٩٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١١٨٤ ، برقم (٦٦٧٧) ، وأبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ في كتابه الشريعة ٣/ ١٤٥٧ ، برقم (٩٨١) ، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م . وسنده صحيح ، وصححه الأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين في كتابه الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٢/ ٢٠٣ ، ط دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة ـ المدينة النبوية ـ الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٦٦ .

مع المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة ، بل الغرض منه بيان أبعد الناس من ولاية المسلمين ومحبتهم ، وهم اليهود والمشركون عبدة الأوثان ، فهؤلاء على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين ، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم ، وذلك لشدة بغضهم لهم ، بغياً وحسداً وعناداً وكفراً .

لكن أقرب الناس ولاية ومحبة للمسلمين هم النصارى ، وذكر تعالى لذلك عدة أسباب :

منها : أن مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا أي : علماء متزهدين ، وعُبَّادًا في الصوامع متعبدين . والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه ، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة ، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود ، وشدة المشركين .

ومنها : أنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ ، أي : ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق ، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر.

ومنها : أنهم إذا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ محمد ـ ﷺ ـ أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له ، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه ، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا : رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وهم أمة محمد ـ ﷺ ـ يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به ، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق أو التكذيب[1].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٩٨ ، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٤١١ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٢٢٥ ، ومفاتيح الغيب للرازي ١٢/ ٤١٣ ، وروح المعاني للآلوسي ٤/ ٤ .

ولما كان هذا شأنهم بَيَّن عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس أن النجاشي وأصحابه حكمهم مثل حكم هؤلاء ، بدليل موقفهم من المسلمين الذين هاجروا إليهم ، وموقفهم من القرآن لما سمعوه منهم .

قال القاسمي[1] ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر حديث ابن عباس ، وذكر اعتراض ابن كثير على متنه :"إن نظره مدفوع ، فإنه ـ تعالى ـ حكى في هذه الآية بعد الهجرة ما وقع قبلها . وظَاهِرٌ أن المقصود بهذه الآية التعريض بعناد اليهود الذين كانوا حول المدينة ، وبعناد المشركين ـ أيضاً ـ وقساوة قلوب الفريقين ، وأنه كان الأجدر بهما أن يعترفوا بالحق كما اعترف به النجاشي وأصحابه[2]":اهـ

---

(١) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب : إمام الشام في عصره ، علماً بالدين ، وتضلعاً من فنون الأدب . مولده في دمشق سنة ١٨٦٦م ، كان سني العقيدة . انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية ، فأقام في عمله هذا أربع سنوات ، ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة . ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين ، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة وسألته ، فرد التهمة فأُخلي سبيله ، واعتذر إليه والي دمشق ، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة ، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب حتى توفي بدمشق سنة ١٩١٤م . من مصنفاته : محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم ، ودلائل التوحيد . انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ٢/ ١٣٥ .

(٢) محاسن التأويل ٤/ ٢٢٨ .

وأصل هذا أن العلماء ـ رحمهم الله ـ يفرقون بين صيغة النزول الصريحة، وصيغة النزول غير الصريحة .

فصيغة النزول الصريحة هي : ما صرحوا فيه بلفظ السببية فيقال : سبب نزول الآية كذا . وهذه العبارة نص في السببية لا تحتمل غيرها .

وتارة تُسْرَد حادثة معينة ، ثم يؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية ، فيقال : حدث كذا وكذا ، فنزل كذا . وهذه العبارة مثل الأولى في الدلالة على السببية ـ أيضاً ـ .

ومرة يُسْأَل الرسول ـ ﷺ ـ فيوحَى إليه ويجيب بما نزل عليه ، ولا يكون تعبير بلفظ سبب النزول ولا تعبير بتلك الفاء ولكن السببية تفهم قطعاً من المقام . وفي كل هذه الحالات يكون نزول الآية في نفس زمن وقوع الحادثة أو السؤال .

وصيغة النزول غير الصريحة هي : ما لا يُصَرَّح فيها بلفظ السبب ، ولا يؤتى بتلك الفاء ، ولا بذلك الجواب المبني على السؤال . بل يقال : نزلت هذه الآية في كذا مثلاً . وهذه العبارة ليست نصاً في السببية ، بل تحتملها ، وتحتمل أمراً آخر هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام[1].

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٠ ، والإتقان ١/ ١١٥ ، ومناهل العرفان ١/ ١١٤ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٣٢ .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :"قولهم : نزلت هذه الآية في كذا ، يراد به تارة أنه سبب النزول ، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب ، كما تقول : عُنِيَ بهذه الآية كذا[1]":اهـ

وقال الزركشي :"العالم قد يحدث له حوادث فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة ، وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل مع حفظه لذلك النص .

ومما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب لاسيما وقد عُرِف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها[2]":اهـ

وقال العلامة الدهلوي[3] ـ رحمه الله ـ :"ما يستفاد من استقراء كلام الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ أنهم لا يقولون : نزلت في كذا ،

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ص ١٦ ، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١ .

(٣) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي ، أبو عبد العزيز ، الملقب شاه وَلِيُّ الله : فقيه حنفي من المحدّثين من أهل الهند ، أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند ، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار ، مات سنة ست وسبعين ومائة وألف من الهجرة . من كتبه : الفوز الكبير في أصول التفسير . ألفه بالفارسية ، وتُرْجِم بعد وفاته إلى

لمجرد بيان الحدث الذي وقع في عهد النبي ـ ﷺ ـ وكان سبباً لنزول تلك الآية ، بل إنهم يستعملون هذا التعبير ـ أحياناً ـ لبيان ما تنطبق عليه الآية وتصدق عليه مما حدث في عهد النبي ـ ﷺ ـ أو بعده ، فهو بيان لصورة من الصور التي تصدق عليها الآية ، فيقولون عند ذاك : نزلت في كذا . ولا يلزم في مثل هذا الموضع أن تنطبق جميع القيود الواردة في الآية على الحدث ، بل يكفي أن ينطبق أصل الحكم الوارد فيها[1]":اهـ

وقال محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ :"وكثيراً ما كان يقول الصحابة : إن آية كذا نزلت في كذا ، وهو يريد أنها نزلت في إثبات هذا الأمر أو حكمه أو دالة عليه ، فيظن الراوي عنه أنها عند حدوث ذلك الأمر، والصحابي لا يريد ذلك[2]".":اهـ

قلت : ما قاله ابن الزبير وابن عباس بشأن الآيات محل البحث لا يخرج عن هذا المقام ، فابن الزبير قال : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ .

العربية والأُرْدِيَّة ونُشِر بهما ، وحجة الله البالغة . انظر فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عبدالحي بن عبد الكبير بن محمد الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني ٢/ ١١١٩ ، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الثانية ١٩٨٢م ، والأعلام للزركلي ١/ ١٤٩ .

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد بن عبدالرحيم الدهلوي ص ٩٥ ، ط دار الصحوة ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

(٢) المنار ٧/ ٢٣٧ .

وابن عباس قرأ الآية ، ثم حكى موقف النجاشي وأصحابه ، ثم قال : قَـــالَ اللهُ ـ تَعَـــالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، ليبين أن حكم الآية ينطبق على النجاشي وأصحابه بسبب موقفهم من الصحابة الذين هاجروا إليهم ، وموقفهم من القرآن لما سمعوه منهم .

ومعنى هذا أن قصة النجاشي وبكائه ليست سبباً لنزول الآية لما بينهما من الزمن الطويل والأمد البعيد[1].

والدليل على هذا أنه قد ثبت أن الآيات محل البحث نزلت في المدينة بعد الهجرة ، وسببها ما رواه سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ في حديث طويل جداً ذكر فيه قصة إسلامه ، وكيف أنه كان مجوسياً ثم تنصر على يد أحد عباد النصارى الذي قال في شأنه : وَكَانَ فِيمَا يَمْشِي ـ وَأَنَا مَعَهُ يُقْبِلُ عَلَيَّ فَيَعِظُنِي وَيخْبِرُنِي أَنَّ لِي رَبًّا، وَأَنَّ بَيْنَ يَدَيَّ جَنَّةً وَنَارًا وَحِسَابًا، وَيُعَلِّمُنِي وَيُذَكِّرُنِي نَحْوَ مَا كَانَ يُذَكِّرُ الْقَوْمَ يَوْمَ الْأَحَدِ حَتَّى قَالَ فِيمَا يَقُولُ لِي : يَا سَلْمَانُ ، إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ سَوْفَ يَبْعَثُ رَسُولًا اسْمُهُ أَحْمَدُ ،

---

(١) انظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة لخالد بن سليمان المزيني ١/ ٤٩٧ ، ط دار ابن الجوزي ـ الدمام ، السعودية ـ الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

يَخْرُجُ بِتِهَامَةَ[1]. عَلَامَتُهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلِ الصَّدَقَةَ ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمٌ ، وَهَذَا زَمَانُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ فَقَدْ تَقَارَبَ ، فَأَمَّا أَنَا فَشَيْخٌ كَبِيرٌ وَلَا أَحْسَبُنِي أُدْرِكُهُ ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ أَنْتَ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ . قُلْتُ : وَإِنْ أَمَرَنِي بِتَرْكِ دِينِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ : وَإِنْ أَمَرَكَ ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ ، وَرِضَا الرَّحْمَنِ فِيمَا قَالَ.....

حَتَّى لَقِيَنِي الرَّكْبُ مِنْ كَلْبٍ[2]فَسَأَلْتُهُمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا لُغَتِي أَنَاخَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعِيرَهُ فَحَمَلَنِي خَلْفَهُ حَتَّى أَتَوْا بِي بِلَادَهُمْ . قَالَ : فَبَاعُونِي ، فَاشْتَرَتْنِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَجَعَلَتْنِي فِي حَائِطٍ لَهَا . وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَأُخْبِرْتُ بِهِ ، فَأَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ تَمْرِ حَائِطِي فَجَعَلْتُهُ عَلَى شَيْءٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ أُنَاسًا ، وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَقْرَبُ الْقَوْمِ مِنْهُ ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : «مَا هَذَا؟» قُلْتُ : صَدَقَةٌ قَالَ لِلْقَوْمِ : كُلُوا . وَلَمْ يَأْكُلْ هُوَ . ثُمَّ لَبِثْتُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَخَذْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَجَعَلْتُهُ عَلَى شَيْءٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ أُنَاسًا ، وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَقْرَبُ الْقَوْمِ مِنْهُ ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) تِهَامَة : جزء كبير من غرب الجزيرة العربية بين الحجاز ونجد ، ومكة جزء من تهامة . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٦٣ .

(٢) كلب : قبيلة من القبائل التي كانت تسكن المدينة . انظر تاريخ المدينة لعمر بن شبة زيد بن عبيدة النميري البصري ١/ ١٦٧ ، ط مطبعة السيد حبيب محمود أحمد ـ جدة ـ ١٣٩٩هـ .

فَقَالَ : «مَا هَذَا؟» قُلْتُ : هَدِيَّةٌ . قَالَ : «بِسْمِ الله» . فَأَكَلَ وَأَكَلَ الْقَوْمُ . قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ مِنْ آيَاتِهِ ، فَدُرْتُ خَلْفَهُ ، فَفَطِنَ لِي فَأَرْخَى ثَوْبَهُ فَإِذَا الْخَاتَمُ فِي نَاحِيَةِ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ فَتَبَيَّنْتُهُ ، ثُمَّ دُرْتُ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله . قَالَ : مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : مَمْلُوكٌ . فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثِي وَحَدِيثَ الرَّجُلِ الَّذِي كُنْتُ مَعَهُ ، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ ، قَالَ : لِمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ جَعَلَتْنِي فِي حَائِطِ لَهَا. قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، قَالَ : لَبَّيْكَ . قَالَ : اشْتَرِهْ . فَاشْتَرَانِي أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَنِي ، فَلَبِثْتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَلْبَثَ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، مَا تَقُولُ فِي دِينِ النَّصَارَى؟ قَالَ : «لَا خَيْرَ فِيهِمْ ، وَلَا فِي دِينِهِمْ.» فَدَخَلَنِي أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الَّذِي كُنْتُ مَعَهُ وَرَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ لَا خَيْرَ فِي هَؤُلَاءِ وَلَا فِي دِينِهِمْ؟! فَانْصَرَفْتُ وَفِي نَفْسِي مَا شَاءَ اللهُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ : ﴿..... ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ .....﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : عَلَيَّ بِسَلْمَانَ . فَأَتَانِي الرَّسُولُ فَدَعَانِي وَأَنَا خَائِفٌ ، فَجِئْتُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَرَأَ : ﴿..... ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ .....﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ . فَقَالَ يَا سَلْمَانُ : «أُولَئِكَ الَّذِينَ كُنْتَ مَعَهُمْ وَصَاحِبُكَ لَمْ يَكُونُوا نَصَارَى ، إِنَّمَا كَانُوا

مُسْلِمِينَ» فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَهُوَ أَمَرَنِي بِاتِّبَاعِكَ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَإِنْ أَمَرَنِي بِتَرْكِ دِينِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَأَتْرُكُهُ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاتْرُكْهُ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ وَمَا يُحِبُّ اللهُ فِيمَا يَأْمُرُكَ بِهِ[1].

ويشهد للحديث رواية أخرى عَنْ سَلْمَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي إِسْلَامِهِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ الْمَدِينَةَ صَنَعْتُ طَعَامًا ، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ :«مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟» قُلْتُ : صَدَقَةٌ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : «كُلُوا» ، وَلَمْ يَأْكُلْ ، ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ طَعَامًا فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَقَالَ : «مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟» ، قُلْتُ : هَدِيَّةٌ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : «كُلُوا» . قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَخْبِرْنِي عَنِ النَّصَارَى؟ قَالَ : «لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا فِيمَنْ أَحَبَّهُمْ» ، فَقُمْتُ وَأَنَا مُثْقَلٌ[2]. فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ .....﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٩٢ ، برقم (٦٥٤٣) ، وقال : هذا حديث صحيح عال في ذكر إسلام سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ ولم يخرجاه":اهـ وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٨٢ . ويشهد له الحديث الذي بعده .

(٢) مُثْقَلٌ : ركبني هَمٌّ ثقيل لا أستطيع حمله . انظر لسان العرب ١١/ ٨٦ ، والقاموس المحيط ١/ ٩٧٢ .

رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ لِي : «يَا سَلْمَانُ إِنَّ أَصْحَابَكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ[1]» .

خلاصة القول : أن الآيات محل البحث مدنيات كسورتها ، ولم يستثنها أحد من مدنية سورة المائدة .

وما ثبت عن ابن الزبير وابن عباس من أن الآيات نزلت في شأن النجاشي وأصحابه لا يدل على أنها مكية ولا يخرجها عن مدنيتها ، لأن مرادهما أن النجاشي وأصحابه حكمهم في المدح والرفعة والثناء الجميل مثل حكم هؤلاء المذكورين في الآيات ، بسبب موقفهم من المسلمين الذين هاجروا إليهم ، وموقفهم من القرآن لما سمعوه منهم .

ومعنى هذا أن قصة النجاشي وبكائه ليست سبباً لنزول الآية لما بينهما من الزمن الطويل والأمد البعيد ، بدليل أنه قد ثبت أن الآيات محل البحث نزلت في المدينة بعد الهجرة في قصة إسلام سلمان الطويلة ولقائه بالنبي ـ ﷺ ـ بالمدينة .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٢٤٩ ، برقم (٦١٢١) ، وكل رجاله ثقات ، وسنده متصل ، وذكره سليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر في كتابهما الاستيعاب في بيان الأسباب ٢/ ٨٣ ، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ السعودية ـ الأولى ١٤٢٥هـ . وحكما على الحديث بالصحة .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد...

فبحمد الله ونعمته تم هذا البحث الذي حاولت فيه إقامة دراسة تأصيلية لعلم المكي والمدني في القرآن الكريم ، ودراسة مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث ، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة قمت بدراسة كل آية من هذه الآيات ، ونتج عن هذا كله نتائج متعددة ، بعض هذه النتائج ليس بجديد ، بل تقرر منذ زمن بعيد على أيدي كثير من العلماء ، ولكن كان لابد من تقريرها في هذا البحث لتكون أسساً وقواعد يُبْنَى عليها بقية مسائل البحث ونتائجه . وهذه النتائج هي :

١ - الراجح والأقرب إلى القبول أن المكي من القرآن هو : ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول - ﷺ - إلى المدينة ، حتى ولو نزل بغير مكة . والمدني : ما نزل من القرآن بعد الهجرة ، وإن كان نزوله بمكة عام الفتح، أو عام حجة الوداع ، أو بسفر من الأسفار.

أما ما نزل على النبي - ﷺ - في طريق هجرته من مكة إلى المدينة فهو من القرآن المكي .

والمُعْتَبَر في وصف السورة بأنها مكية أو بأنها مدنية بفاتحتها ، فإذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة فهي مكية ، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة فهي مدنية .

٢ ـ العلم بالمكي والمدني يفيد في تفسير آيات القرآن الكريم ، ومعرفة مدلولاتها ، وما يراد فيها ، وتمييز الناسخ من المنسوخ ، ومعرفة تاريخ التشريع ، واستخراج سيرة الرسول ـ ﷺ ـ وذلك بمتابعة أحواله بمكة ومواقفه في الدعوة ، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها ، وبيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به ، حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب ، بل تتبعوا أماكن نزوله .

٣ ـ يُعْرَف المكي والمدني بطريق السماع المعتمد على النقل والرواية عمن شاهدوا الوحي والتنزيل ، أو بطريق القياس والاجتهاد الذي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني .

٤ ـ وردت تسع روايات عن الصحابة والتابعين حددت السور المكية والمدنية ، اتفقت هذه الروايات في مجموعها على عشرين سورة أنها سور مدنية ، وهذه السور المتفق على مدنيتها هي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والجمعة ، والمنافقون ، والطلاق ، والتحريم ، والنصر .

واختلفت هذه الروايات في سبع عشرة سورة وهي : الرعد ، والنحل، والحج ، والرحمن ، والصف ، والتغابن ، والإنسان ، والمطففين، والفجر ، والليل ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس .

واتفقت الروايات التسع في مجموعها على سبع وسبعين سورة أنها سور مكية وهي ما تبقى من سور القرآن .

٥ ـ استقرأ العلماء السور المكية ، والسور المدنية ، واستنبطوا ضوابط قياسية لكل من المكي والمدني ، واستنبطوا ـ كذلك ـ خصائص تميزت بها السور المكية ، وخصائص تميزت بها السور المدنية .

٦ ـ ذهب بعض العلماء إلى أن من القرآن ما تكرر نزوله ، ومنه ما نزل مرة بمكة قبل الهجرة ثم نزل مرة أخرى بالمدينة بعد الهجرة .

والصحيح أنه لم يتكرر نزول شيء من القرآن ، ولا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله ـ ﷺ ـ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيُقْرِئُه إياه ، لأن تكرر النزول خلاف الأصل ، ومن خالف الأصل طولب بالدليل ، ثم إنه لا توجد فائدة حقيقية من تكرار نزول شيء من القرآن ، لأن نزول القرآن معناه ظهوره من عالم الغيب إلى الشهادة ، والظهور به لا يقبل التكرر، بل هو تحصيل أمر حاصل موجود ، ثم إن القول بتكرار النزول يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة تكرر نزوله

بالمدينة مرة أخرى ، فإن جبريل كان يعارض النبي ـ ﷺ ـ القرآن كل عام مرة ، وعارضه القرآن في العام الذي مات فيه مرتين .

٧ ـ إذا تعدَّدَت الروايات في سبب نزول الآية أو السورة ، وكانت كلها صحيحة صريحة في ذكر السبب ، وذكرت تلك الروايات أحداثاً متباعدة في الزمان ، أو دلت على أنها نزلت في مكة ثم نزلت في المدينة ، فالقرائن المتعلقة بهذه الروايات هي التي تحدونا إلى أحد وجوه ثلاثة :

إما ترجيح بعض هذه الروايات على بعض .

وإما أن يكون في بعض طرق هذه الروايات : «فتلا كذا» أو «فقرأ كذا» فلا تكون الآية نزلت حينئذ ، ويكون ذكرها عقب القصة إما للاستشهاد أو للرد .

وإما أن تكون الآية قد نزلت في زمن ماض ، ثم تحدث واقعة تشتمل الآية على حكمها ، فينزل جبريل فيقرأ الآية على النبي ـ ﷺ ـ ليعلم أن الآية تدل على حكم هذه الواقعة .

أما القول بتكرار النزول مما ينتج عنه في بعض الصور أن تكون الآية أو السورة نزلت مرة بمكة ثم نزلت مرة أخرى بالمدينة فهو أمر لم يثبت وقوعه .

٨ ـ سورة الفاتحة اختلف العلماء في مكان وزمان نزولها ، وبعد دراسة كل قول من أقوالهم وأدلتهم ومناقشة ما استحق المناقشة منها تبين أن

الراجح أن سورة الفاتحة نزلت كلها في مكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، فأدلة هذا القول قوية متساندة يأخذ بعضها بحُجَز بعض :

فقد امتن الله على نبيه بسورة الفاتحة في آية مكية هي قوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ ، وقد فسر النبي ـ ﷺ ـ السبع المثاني بالفاتحة ، وكفى بتفسير رسول الله تفسيراً .

وثبت أن ولد عمرو بن الجموح قد تعلم الفاتحة قبل الهجرة ، وقرأها على أبيه قبل إسلامه ، والثابت أن عمرو بن الجموح أسلم قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ .

وشهد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنها نزلت بمكة .

ودل حديث أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل على أنها من أوائل ما نزل من القرآن بمكة ، فهي أول سورة كاملة نزلت بعد صدر سورة العلق ، وصدر سورة المدثر ، بعد أن انقطع الوحي فترة عن رسول الله ـ ﷺ ـ .

وقد فرض الله الصلاة في مكة قبل الهجرة ، ولا يسعنا القول : بأن رسول الله ـ ﷺ ـ قام بمكة يصلي بلا فاتحة الكتاب .

ثم إن القضايا التي تحدثت عنها سورة الفاتحة هي قضايا خصائص السور المكية .

أما الأقوال الأخرى فأدلتها لم تسلم من المناقشة والرد .

٩ ـ سورة البقرة مدنية بإجماع الآراء ، وقد ابتدأ نزولها بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ ، وقد نزل معظمها في السنوات الأولى من الهجرة ، واستمر نزولها إلى قبيل وفاة النبي ـ ﷺ ـ بفترة قليلة.

١٠ ـ هناك ثلاث آيات اسْتُثْنِيَت من سورة البقرة :

أ ـ الآيـــة الأولى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ، فيرى أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى أن هذه الآية مكية ، وحجته أنها تأمر بالعفو والصفح وترك القتال ، وكل آية عنده فيها ترك للقتال فهي مكية منسوخة بتشريع القتال .

والصحيح أن الآية مدنية كسورتها ، دل على هذا حديثها الصريح عن معاندة اليهودِ أهلِ الكتاب ، ومعاندات اليهود إنما كانت بالمدينة ، ثم إن الأسباب التي نزلت فيها الآية كلها حوادث حدثت في المدينة .

ودعوى مكية الآية مبنية على توهم أن العفو والصفح لم يكونا إلا في المرحلة المكية ، ولا تعارض في الحقيقة بين الآيات التي تأمر بالعفو والصفح وبين الآيات التي تأمر بالقتال ، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته .

والآية نزلت في الفترة التي كان رسول الله ـ ﷺ ـ يباشر فيها تأسيس الدولة في المدينة وقبل مرحلة الإذن بالقتال ، فلما استقر الرسول ـ ﷺ ـ في المدينة ، وأسس الدولة ، وأقام دعائم الدعوة جاء الإذن بالقتال .

ب ـ الآية الثانية : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ فقد ذكر السيوطي أنها اسْتُثْنِيَت من مدنية سورة البقرة .

والصحيح أن الآية مدنية كسورتها ، لأن رواية ابن عباس : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَقْرِبَائِهِم مِنَ الْمُشْرِكِينَ..... ، فَسَّرَتْها الروايتان الأخريان ، فصرحتا بأن الآية نزلت بسبب الأنصار الذين كرهوا أن ينفقوا على أقربائهم من أهل الكتاب الذين كانوا مع النبي ـ ﷺ ـ والمسلمين في المدينة ، وهذا يقضي بأن الآية مدنية .

ج ـ الآية الثالثة : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ ، اسْتُثْنِيَت هذه الآية من سورة البقرة المدنية ، وأول من استثناها الماوردي ، ونقل غير واحد من العلماء رأي الماوردي هذا ، وسكت عنه ، وذكروا أن الحجة لهذا الاستثناء أن الآية نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . ودعوى مكيتها استندت على حديث باطل ، وانطلقت من منظور مكاني ، ولو انطلقت من منظور زماني ـ كما هو رأي الجمهور ـ لما ترددت في إقرار مدنيتها ، إذ الآية آخر ما نزل من القرآن الكريم .

١١ ـ سورة آل عمران سورة مدنية ، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها من أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد الهجرة ، وما

استفاض عند المفسرين من أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران في السنة التاسعة من الهجرة ، ثم إجماع العلماء على أنها مدنية ، ولم يخالف في هذا أحد ، والقضايا التي تحدثت عنها هي قضايا خصائص السور المدنية ، ولم يَسْتَثْن أحد من آياتها شيئاً .

١٢ ـ سورة النساء سورة مدنية ، بدليل قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ ـ ﷺ ـ" ، وهي لم تُزَف إلى النبي ـ ﷺ ـ إلا في السنة الأولى بعد الهجرة ، وما صح من أسباب نزول كثير من آياتها من أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد الهجرة ، والقضايا التي تحدثت عنها هي قضايا خصائص السور المدنية .

وما ذهب إليه النحاس ـ رحمه الله ـ في كتابه "معاني القرآن" من القول بمكية سورة النساء قد تراجع عنه في كتابه "الناسخ والمنسوخ" وحكم بمدنيتها ، ومن ثم يمكن أن نقول : إن سورة النساء سورة مدنية بلا خلاف .

١٥ ـ اسْتُثْنِيَ من مدنية سورة النساء آيتان :

أ ـ الآيـــة الأولى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

وادعى من استثناها أن كل شيء نزل : (يا أيها الناس) فهو بمكة .

والصحيح أن هذا ضابط غير مضطرد في سور القرآن وآياته ، فبعض السور المدنية جاء الخطاب فيها بـ : (يا أيها الناس) ، وإذا كان لفظ (الناس) عاماً في الكل ، وكان الأمر بالتقوى عاماً في الكل، وكانت علة هذا التكليف ـ وهي كونهم خلقوا من النفس الواحدة ـ عامة في حق الكل كان القول بتخصيص الخطاب لأهل مكة في غاية البعد .

ب ـ الآية الثانية : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ ، ولا يصح استثناؤها ، لأن استثناءها مُسْتَنِد على روايات شديدة الضعف ، وفيها الكثير من الاختلاف والاضطراب ، يفيد بعضها أنها نزلت في مكة يوم الفتح .

ولو سلمنا بنزول الآية في مكة يوم الفتح فإن هذا لا يخرجها عن مدنيتها ، لأن الصحيح المُعْتَمَد أن ما نزل بعد الهجرة فهو معدود من المدني ، فالاعتبار بالزمان لا بالمكان .

على أن بعض العلماء ذهب إلى أن الآية نزلت قبل فتح مكة ، وأن النبي ـ ﷺ ـ تلاها يوم الفتح استشهاداً ، فالتبس الأمر مع بعض الرواة فظنوا أن الآية نزلت حينئذ .

ثم إن الآية جزء من سياقها المدني الذي لا يمكن أن تنفصل أو أن تستقل عنه .

١٦ ـ سورة المائدة سورة مدنية إجماعاً بدليل قول عائشة وعبدالله بن عمرو : إنها من آخر سور القرآن نزولاً . والمراد أن معظم آياتها من أواخر ما نزل على النبي ـ ﷺ ـ في آخر حياته .

وما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة المائدة واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ .

والقضايا التي تحدثت عنها سورة المائدة هي قضايا خصائص السور المدنية .

ولم تنزل سورة المائدة دفعة واحدة بدليل أسباب نزول بعض آياتها ، وهي حوادث حدثت في أزمنة متباعدة .

والأحاديث التي قد يُفْهَم منها أن سورة المائدة نزلت دفعة واحدة محمولة على أن المراد بها جزءٌ كبير من مجموع السورة لا جميعُها .

١٧ ـ اسْتُثْنِيَ من مدنية سورة المائدة آيتان :

أ ـ الآية الأولى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ ، فقد صرح بعض العلماء أن هذه الآية مكية ، واستثناها آخرون ، ولكن من غير تصريح بأن حكمها مكي ، والسبب أن هذه الآية نزلت في مكة يوم عرفة في حجة الوداع .

والصحيح أن هذا لا يخرجها عن كونها مدنية ، لأن كل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي - ﷺ - فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة ، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.

ب - الآية الثانية : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ، لم يحكم بمكية هذه الآية إلا فضيلة الشيخ المراغي - رحمه الله - . وقال الآلوسي : إنها مكية مدنية ، نزلت مرة بمكة قبل الهجرة ، ثم تكرر نزولها بعد الهجرة .

والذي ألجأهما إلى هذا ما جاء في رواية أن هذه الآية نزلت تُؤَمِّن الرسول - ﷺ - من أذى قريش ، وما جاء في رواية أخرى أن أبا طالب عم النبي - ﷺ - كان يخاف عليه من أن تقتله قريش ، فكان يأمر رجالاً من أقاربه بحراسته ، فنزلت هذه الآية تُؤَمِّن النبي - ﷺ - من القتل . وهذه روايات ضعيفة جداً لا تقوم بها حجة .

والصحيح أن الآية مدنية نزلت بعد الهجرة في غزوة أنمار بسبب أعرابي كان هَمَّ بقتل رسول الله - ﷺ - فكفاه الله إياه .

١٨ - هناك عدد من الآيات في موضع من سورة المائدة لم يستثنها أحد من العلماء ، لكن جاء ما يُفْهَم منه أنها آيات مكية ، وهي قول الله - تعالى - : ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ ، **فقد ثبت عن ابن الزبير وابن عباس أن هذه الآيات نزلت في شأن النجاشي وأصحابه .**

وهذا لا يدل على أنها مكية ولا يخرجها عن مدنيتها ، لأن مرادهما أن النجاشي وأصحابه حكمهم في المدح والرفعة والثناء الجميل مثل حكم هؤلاء المذكورين في الآيات ، بسبب موقفهم من المسلمين الذين هاجروا إليهم ، وموقفهم من القرآن لما سمعوه منهم .

ومعنى هذا أن قصة النجاشي وبكائه ليست سبباً لنزول الآية ، لما بينهما من الزمن الطويل والأمد البعيد ، بدليل أنه قد ثبت أن الآيات محل البحث نزلت في المدينة بعد الهجرة في قصة إسلام سلمان الطويلة ولقائه بالنبي - ﷺ - بالمدينة .

١٩ - الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية ، والأصل في السورة المدنية أن تكون كل آياتها مدنية ، ومن ثم فلا يُقْبَل استثناء آيات من سورها دون دليل صحيح يدل على ذلك الاستثناء ، لأن الاستثناء خلاف الأصل ، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، بتحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم .

٢- الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم لأحمد بن عبدالعزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر ، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ : الأولى ١٤٣٠هـ .

٣- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبدالله بن العربي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

٥- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، ط دار الإصلاح ـ الدمام ـ الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٦- الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر ، ط دار ابن الجوزي للنشر ـ والتوزيع ـ السعودية ـ الأولى ١٤٢٥هـ .

٧- الانتصار للقرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر الباقلاني ، ط دار الفتح ـ عَمَّان ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ .

٩- الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأَنْدَرَابِيّ دراسة وتحقيق ، وهي أطروحة نالت بها الباحثة : منى عدنان غني درجة الدكتوراة في كلية التربية للبنات في جامعة تكريت ـ العراق ـ بإشراف الأُستاذ الدكتور : غانم قدُّوري حمد ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

١٠- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه لمكي بن أبي طالب ، ط دار المنارة ـ جدة ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١١- بحر العلوم لأبي الليث نصر ـ بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

١٢- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ .

١٣- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صورته دار المعرفة ـ بيروت ـ وبنفس ترقيم الصفحات) الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م ، بتحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - .
١٥- بيان المعاني وهو تفسير مرتب على حسب ترتيب النزول تأليف : السيد عبد القادر مُلَّا حويش آل غازي العاني ، ط مطبعة الترقي - دمشق - الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٥م .
١٦- البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني ، ط مركز المخطوطات والتراث - الكويت - الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
١٧- تاريخ نزول القرآن لمحمد رأفت سعيد ، ط دار الوفاء (المنصورة - مصر) ، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١٨- تأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
١٩- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان لطاهر الجزائري الدمشقي ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - .
٢٠- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ، ط الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤م .

٢١- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله ، ابن جُزَيّ الكلبي ، ط شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - الأولى ١٤١٦هـ .
٢٢- التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطيء ، ط دار المعارف - القاهرة - السابعة .
٢٣- التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٨٣هـ.
٢٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .
٢٥- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية - الثالثة ١٤١٩هـ بتحقيق/ أسعد محمد الطيب .
٢٦- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، بتحقيق : سامي محمد سلامة .
٢٧- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني ، ط دار الوطن - الرياض - الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٢٨- تفسير القرآن لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، ط دار المآثر - المدينة النبوية - الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ، بتحقيق/ الدكتور: سعد بن محمد السعد .
٢٩- تفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ، ط دار ابن حزم - بيروت - الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
٣٠- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ، ط دار الفكر العربي - القاهرة - .
٣١- تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ، الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .
٣٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي ، ط دار الفكر المعاصر - دمشق - الثانية ١٤١٨هـ .
٣٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ، ط دار نهضة مصر - للطباعة والنشر - والتوزيع - القاهرة - الأولى ١٩٩٧م .
٣٤- تفسير مقاتل بن سليمان ، ط دار إحياء التراث - بيروت - الأولى ١٤٢٣هـ .

٣٥- تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زَنْجَلَة ، ط مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ـ العراق ـ .
٣٦- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، بتحقيق/ أحمد محمد شاكر .
٣٧- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
٣٨- جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي ، ط مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
٣٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ .
٤٠- الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه ، ط دار الشرق ـ بيروت ـ الرابعة ١٤٠١هـ .
٤١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار الفكر ـ بيروت ـ .

٤٢- دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ، ط مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ـ الثانية عشرة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

٤٣- دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ، ط دار المنار ، الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٤٤- دراسات ومحاضرات في علوم القرآن لمحمد عبدالسلام كفافي ، ط دار النهضة العربية ـ بيروت ـ .

٤٥- درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني ، ط سلسلة إصدارات مجلة الحكمة ـ بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .

٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ .

٤٧- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ .

٤٨- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة ، ط دار الفكر العربي .

٤٩- السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ، ط دار المعارف (مصر) ١٤٠٠هـ .

٥٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، ط مطبعة بولاق الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ .
٥١- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ، ط دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة ـ المدينة النبوية ـ الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
٥٢- الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .
٥٣- العجاب في بيان الأسباب لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط دار ابن الجوزي .
٥٤- علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر الحلبي ، ط مطبعة الصباح ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
٥٥- عناية القاضي وكفاية الراضي وهي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، ط دار صادر ـ بيروت ـ .
٥٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ .

٥٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ط دار ابن كثير ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٤هـ .
٥٨- فضائل القرآن لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٦هـ .
٥٩- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ط دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت) ، الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٦٠- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة للإمام محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس ، ط دار الفكر ـ دمشق ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .
٦١- فهم القرآن ومعانيه لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي، ط دار الكندي أودار الفكر ـ بيروت ـ الثانية ١٣٩٨هـ .
٦٢- الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد بن عبدالرحيم الدهلوي ، ط دار الصحوة ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .
٦٣- في ظلال القرآن لسيد قطب ، ط دار الشروق ـ بيروت ، القاهرة ـ السابعة عشر ١٤١٢هـ .
٦٤- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي ، ط دار القرآن الكريم ـ الكويت ـ .

٦٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمرو الزمخشري ، ط دار الكتاب العربي - بيروت - الثالثة ١٤٠٧هـ .
٦٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م .
٦٧- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن عمر الشيحي المعروف بالخازن ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٥هـ .
٦٨- لباب النقول في أسباب النزول لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - .
٦٩- اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
٧٠- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، ط دار العلم للملايين ، الرابعة والعشرون ٢٠٠٠ .
٧١- مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٧٢- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، ط مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٩٨١م .
٧٣- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ، ط مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٨١هـ .

٧٤- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٨هـ .
٧٥- محاضرات في علوم القرآن لغانم بن قدوري ، ط دار عمار - عَمَّان - الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
٧٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي- ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ .
٧٧- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني ، ط دار ابن الجوزي (الدمام - المملكة العربية السعودية) ، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٧٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي ، ط دار الكلم الطيب - بيروت - الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
٧٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، ط مكتبة السنة - القاهرة - الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٨٠- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم بن عمر البقاعي ، ط مكتبة المعارف - الرياض - الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .
٨١- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، ط مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٨٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٠هـ .
٨٣- معاني القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ط جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ الأولى ١٤٠٩هـ .
٨٤- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، ط عالم الكتب ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
٨٥- مفاتيح الغيب وهو التفسير الكبير لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٠هـ .
٨٦- المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبدالله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب العنزي، ط مركز البحوث الإسلامية ـ ليدز بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٨٧- مقدمة في أصول التفسير لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م .
٨٨- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة .
٨٩- الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، ط وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة ـ .

٩٠- الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس ، ط مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الأولى ١٤٠٨هـ .
٩١- نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي ، ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ الرابعة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .
٩٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، ط دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ .
٩٣- نفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد محمد معبد ، ط دار السلام ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٩٤- النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب ، الشهير بالماوردي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .
٩٥- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي ، ط كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .
٩٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

كتب الحديث وعلومه

٩٧- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لأبي عبدالله محمد بن

عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المشهور بالضياء المقدسي ، ط دار خضر- للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - .
٩٨- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي ، ط دار الأندلس للنشر - بيروت - .
٩٩- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، ط المطبعة الأميرية الكبرى - مصر - السابعة ١٣٢٣هـ .
١٠٠- الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطئه من الرأي والآثار للحافظ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
١٠١- الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيباني ١/ ٣٦٤ ، ط دار الوطن - الرياض - الأولى ، ١٤١٧هـ .
١٠٢- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ط دار الفكر .
١٠٣- الأموال لحميد بن مَخْلَد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زَنْجُوَيَة ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية - الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١٠٤- البحر الزخار (مسند البزار) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، ط مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية - الأولى ٢٠٩م .
١٠٥- البدر التمام شرح بلوغ المرام للحسين بن محمد المغربي ، ط دار هجر الأولى ١٤٢٤هـ .
١٠٦- تاريخ المدينة لعمر بن شبة زيد بن عبيدة النميري البصري ، ط مطبعة السيد حبيب محمود أحمد - جدة - ١٣٩٩هـ .
١٠٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - .
١٠٨- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين محمد بن يوسف الزيلعي ، ط دار ابن خزيمة - الرياض - الأولى ١٤١٤هـ .
١٠٩- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار طيبة .
١١٠- التذكار في أفضل الأذكار لمحمد بن أحمد القرطبي ، ط مكتبة دار البيان - دمشق - الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
١١١- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لعمر بن أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بابن شاهين ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .

١١٢- تغليق التعليق على صحيح البخاري لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط المكتب الإسلامي - بيروت - ودار عمار - عمان الأردن - الأولى ١٤٠٥هـ .
١١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧هـ .
١١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
١١٥- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
١١٦- السنن الكبرى لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .
١١٧- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، ط دار الرسالة العلمية، الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط .
١١٨- السنن للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، ط دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي) .

١١٩- السنن للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م ، بتحقيق/ أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي .
١٢٠- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ، ط المكتب الإسلامي - دمشق ، بيروت - الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
١٢١- شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
١٢٢- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ ، ط دار الوطن - الرياض - الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .
١٢٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي .
١٢٤- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض - الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١٢٥- صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، ط دار الحديث - القاهرة - ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

١٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩هـ .
١٢٧- الْفَصْل لِلْوَصْلِ الْمُدْرَجِ فِي النَّقْلِ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، ط دار الهجرة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
١٢٨- فضائل الصحابة لأحمد بن محمد بن حنبل ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
١٢٩- الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة - الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
١٣٠- كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة لنور الدين محمد بن عبدالهادي السندي ، ط دار الجيل - بيروت - .
١٣١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي الكرماني ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
١٣٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، ط مكتبة القدسي - القاهرة - ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
١٣٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي القاري ، ط دار الفكر - بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

١٣٤- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن الحكم النيسابوري ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
١٣٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ.
١٣٦- المسند للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، ط مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م ، بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط .
١٣٧- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة ، ط مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٩هـ .
١٣٨- المصنف لأبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ، ط المجلس العلمي ـ الهند ـ الثانية ١٤٠٣هـ .
١٣٩- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار العاصمة للنشر ـ والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
١٤٠- المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، ط دار الحرمين ـ القاهرة ـ .

١٤١- معجم الشيوخ لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن جُمَيْع الصيداوي ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤٠٥هـ .
١٤٢- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الثانية .
١٤٣- مقدمة في أصول الحديث لعبدالحق بن سيف الدين الحنفي ، ط دار البشائر الإسلامية - بيروت - الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٤٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - الثانية ١٣٩٢هـ .
١٤٥- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، ط دار الكتب العلمية .
١٤٦- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط مطبعة سفير - الرياض - الأولى ١٤٢٢هـ .

كتب العقيدة

١٤٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .
١٤٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ط الحرس الوطني السعودي - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٤٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، ط دار القلم (جدة ، السعودية) الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

كتب الفقه وأصوله

١٥٠- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ط دار المعرفة - بيروت - ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .
١٥١- البرهان في أصول الفقه لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
١٥٢- الجامع لمسائل المدونة لأبي بكر محمد بن عبدالله بن يونس الصقلي المالكي ، ط دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع - بيروت - الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م .
١٥٣- الذخيرة لأبي العباس أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت - الأولى ١٩٩٤م .
١٥٤- فتاوى ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن ، ط مكتبة العلوم والحكم - بيروت - الأولى ١٤٠٧هـ .
١٥٥- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية - ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

١٥٦- المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس» لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي ، ط المكتبة التجارية (مصطفى أحمد الباز) - مكة المكرمة - .
١٥٧- الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي ، ط دار ابن عفان ، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

كتب السيرة والتاريخ

١٥٨- أخلاق النبي وآدابه لمحمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني ، ط دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض - الأولى ١٩٩٨م .
١٥٩- الجامع الصحيح للسيرة النبوية للدكتور سعد المرصفي ، ط مكتبة ابن كثير - الكويت - الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
١٦٠- الخصائص الكبرى لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - .
١٦١- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
١٦٢- دلائل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، ط دار النفائس - بيروت - الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٦٣- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبدالملك بن حسين بن عبدالملك العاصمي المكي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

١٦٤- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السادسة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
١٦٥- السيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م .
١٦٦- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م .
١٦٧- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان ، ط الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٧هـ .
١٦٨- صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية لمحمد رزق طرهوني ، ط دار ابن تيمية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٤هـ .
١٦٩- الصحيح من أحاديث السيرة النبوية لمحمد بن حمد الصوياني ، ط دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .
١٧٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
١٧١- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، ط المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ .

كتب المعاجم والغريب

١٧٢- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

١٧٣- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٧٤- التوقيف على مهمات التعاريف لعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ، ط عالم الكتب ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

١٧٥- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٨/ ٢٥٤ ، ط دار ومكتبة الهلال .

١٧٦- غريب الحديث لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

١٧٧- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الثامنة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

١٧٨- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور ، ط دار صادر ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٤هـ .

١٧٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ، ط المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

كتب تراجم الأعلام ورجال الحديث

١٨٠- أحوال الرجال لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، ط حديث أكادمي - فيصل آباد (باكستان) - .

١٨١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، ط دار الجيل - بيروت - الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

١٨٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المعروف بابن الأثير ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

١٨٣- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٥هـ .

١٨٤- الأعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

١٨٥- الأنساب لعبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - ، الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م .

١٨٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٢٧٣ ، ط المكتبة العصرية - لبنان - .

١٨٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ط دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

١٨٨- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، ط دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد (الهند) ـ .
١٨٩- تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١٩٠- تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ، المعروف بابن الفرضي ، ط مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
١٩١- تذكرة الحفاظ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
١٩٢- تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط دار الرشيد ـ سوريا ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٩٣- التكملة لوفيات النقلة لعبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، ط مطبعة الآداب ـ النجف ـ ١٣٩١هـ ١٩٧١م .
١٩٤- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ـ اليمن ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

١٩٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزي ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
١٩٦- الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي ، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند - الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .
١٩٧- الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - الأولى ١٢٧١هـ ١٩٥٢م .
١٩٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الهند - الثانية ١٩٧٢م .
١٩٩- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبدالله الحميري ، ط مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - ، الثانية ١٩٨٠م .
٢٠٠- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ، ط دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٢٠١- الضعفاء والمتروكون لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، ط دار الوعي - حلب - الأولى ١٣٩٦هـ .
٢٠٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي ، ط دار ومكتبة الحياة - بيروت - .

٢٠٣- طبقات الحفاظ لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٠٣هـ .
٢٠٤- الطبقات الكبرى لأبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .
٢٠٥- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوي ، ط مكتبة العلوم والحكم - السعودية - الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
٢٠٦- طبقات المفسرين لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط مكتبة وهبة - القاهرة - الأولى ١٣٩٦هـ .
٢٠٧- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - .
٢٠٨- غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن يوسف بن الجزري ، ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الأولى ١٣٥١هـ .
٢٠٩- الفرائد على مجمع الزوائد «ترجمة الرواة الذين لم يعرفهم الحافظ الهيثمي» لخليل بن محمد العربي ، ط دار الإمام البخاري - الدوحة ، قطر - .
٢١٠- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عبدالحي بن عبد الكبير بن محمد الإدريسي- المعروف بعبد الحي الكتاني ، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت - الثانية ١٩٨٢م .

٢١١- الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم ، ط دار المعرفة - بيروت - الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
٢١٢- الكنى والأسماء لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة النبوية - الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
٢١٣- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧١م .
٢١٤- مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب لأبي عبد الله محمد بن أحمد المصنعي العنسي- ، ط مكتبة صنعاء الأثرية - اليمن - والفاروق الحديثة للطباعة والنشر- - مصر- - الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٢١٥- معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي ، ط دار صادر - بيروت - الثانية ١٩٩م .
٢١٦- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - .

٢١٧- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
٢١٨- المغني في الضعفاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط دار الفكر ١٩٦٢م .
٢١٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت - الأولى١٣٨٢هـ١٩٦٣م .
٢٢٠- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، ط دار الكتاب اللبناني - بيروت - الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
٢٢١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ، ط دار صادر - بيروت - الأولى ١٩٧١م .

محتويات البحث

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤٨٩
الباب الأول **المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية**	٤٩٦
الفصل الأول : ـ تعريف المكي والمدني وفوائد معرفته	٤٩٧
المبحث الأول : ـ تعريف المكي والمدني	٤٩٧
المبحث الثاني : ـ فوائد معرفة المكي والمدني	٥١٤
الفصل الثاني : ـ طرق معرفة المكي والمدني	٥١٩
المبحث الأول : ـ الروايات التي عددت المكي والمدني	٥٢٣
المبحث الثاني : ـ ضوابط القرآن المكي وضوابط القرآن المدني وخصائصهما	٥٤٧
المبحث الثالث : ـ الآيات المستثناة من السور المكية والآيات المستثناة من السور المدنية	٥٦٣
المبحث الرابع : ـ هل تكرر نزول شيء من القرآن؟	٥٦٧
الباب الثاني **نزول السور والآيات من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة**	٥٨٥
الفصل الأول : ـ سورة الفاتحة	٥٨٦
وفيه مبحث واحد وهو : نزول سورة الفاتحة	٥٨٦
الفصل الثاني : ـ سورة البقرة	٦١١

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الأول : ـ نزول سورة البقرة	٦١١
المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة البقرة	٦٢٠
الفصل الثالث : ـ سورة آل عمران	٦٣٧
وفيه مبحث واحد وهو : نزول سورة آل عمران	٦٣٧
الفصل الرابع : ـ سورة النساء	٦٤٣
المبحث الأول : ـ نزول سورة النساء	٦٤٣
المبحث الثاني : ـ الآيتان المستثناتان من سورة النساء	٦٥١
الفصل الخامس : ـ سورة المائدة	٦٦٢
المبحث الأول : ـ نزول سورة المائدة	٦٦٢
المبحث الثاني : ـ الآيتان المستثناتان من سورة المائدة	٦٨٢
الخاتمة	٧١٤
المراجع والمصادر	٧٢٦
محتويات البحث	٧٥٥